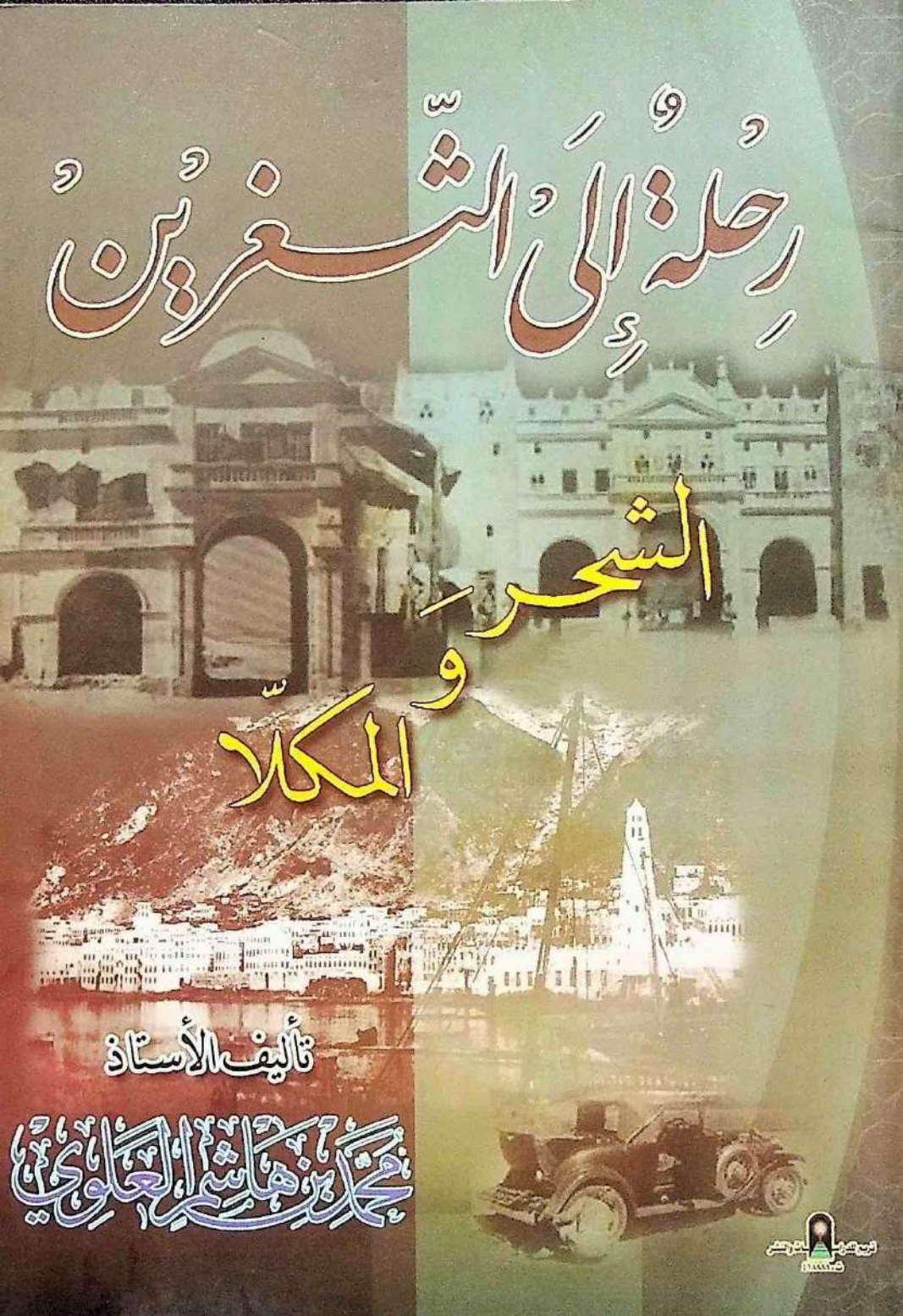
رحلة إلى الشحر والمكلا



تأليف الأستاذ

محمد بن هاشم العلوي

رِحْلَةٌ إِلَى الثَّغْرَيْنْ

الشحرَ والمُكلاَّ

تأليف الأستاذ

محمد بن هاشم العلوي



تريم للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء 2009/654

الطبعة الثانية 1430هـ الموافق 2009م

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي



تريم للدراسات والنشر
ت: 418888 - تريم حضرموت - الجمهورية اليمنية

التنفيذ الطباعي:

مركز عبادي للدراسات والنشر - ت: 485691 / فاكس: 485692
سيار: 777219617 ص.ب: 662 - صنعاء - الجمهورية اليمنية

رحلةٌ إلى الثَّغرين

الشِّحر والمُكلاَّ

مشاهدات ومناظر

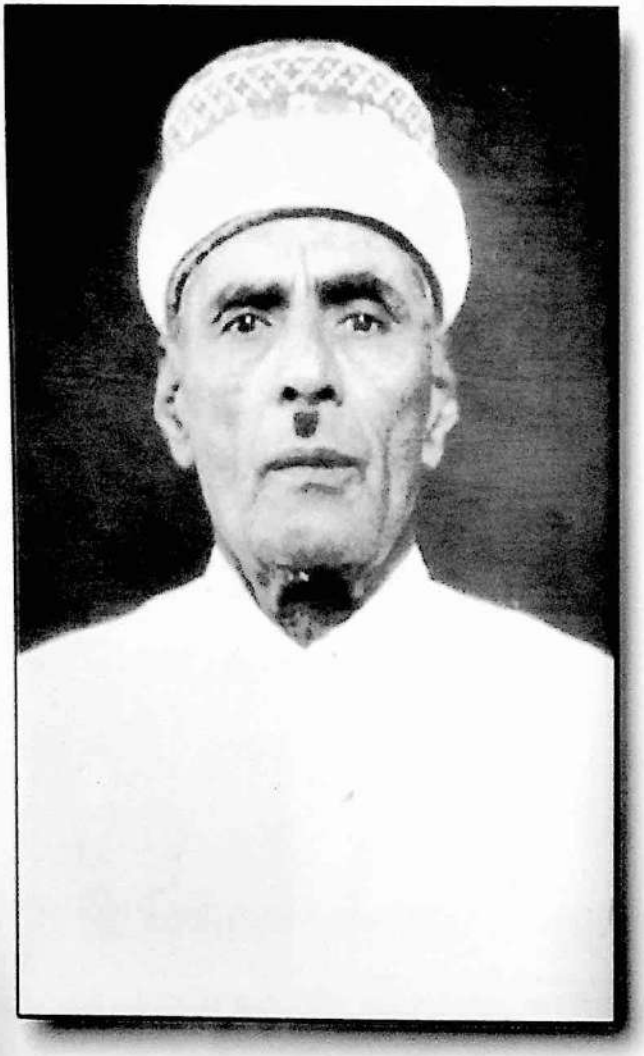
إجتماع وسياسة وتاريخ وفكاهة

لصاحبها الكاتب الاجتماعي الأستاذ الكبير
السيد محمد بن هاشم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين بن طاهر العلوي
أحد زعماء النهضة الحضرمية الحديثة

محاضرة قيمة ألقيت بنادي الشبيبة المنحدة بتريم ١٥ شعبان سنة ١٣٥٠هـ



زعيم الوطن والإصلاح السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف العلوي



ذو اهمّة القعساء الطائر الصيت السيد أبوبكر بن شيخ الكاف العلوي

المهداة إليه هذه الرحلة



رئيس نادي الشبيبة المتحدة بتريم ، وباعث روح النهضة في الشباب بحضرموت

السيد عمر بن شيخ الكاف العلوي – تريم



الأستاذ السيد محمد بن هاشم – صاحب الرحلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

إلى الشعب الحضرمي مشاهداتي وملاحظاتي في رحلتي إلى الثغرين- الشحر والمكلاّ-ليتسلّوا بها أبان الفراغ ، ويأتدموا جدّهم الصارم وفرضهم اللازم بما اكتنفته من الطرف الفكاهية والنّكات الاجتماعية.

ألا وأن النتف التاريخية التي طرزت بها بردها لما خططته ببراعة نزيهة عن التحيّز بعيدة عن التعصّب استخلصتها من بين أقلام ملطّخة بحمأة الأغراض السافلة وملوّثة بسموم العصبية القاتلة. فطفقت أمخض وأغربل، وأجرد وأسربل، حتى استخرجت الحقيقة النّاصعة من بين فرث ودم لبناً سائغاً للشّاربين.

وأن أنس لا أنسى شكري لصديقيَّ العزيزين السيد شيخ بن عبدالرحمن الكاف والدكتور محمد عمر حياة. فقد أمدّا هذه الرحلة بما يزيّن رياشها مما اقتنصته أيديهما من رسوم مناظر الطريق وغيرها. حيّاهما الله وبيّاهما.

وختاماً أتمنّى من صميم الفؤاد أن يختم القارئ هذه الرحلة ثم يتلمّس هميانه فيجد فيه من النّفائس ثمن الوقت الذي كرّسه في قراءتها. والله الموفّق والمستعان.

محمد بن هاشم

إهداء الرحلة

بسم الله

أيّها القارئ الكريم...

إن شعرت حفظك الله بشيء من الارتياح لقراءة هذه الرحلة ، فالتقطت شيئاً من فوائدها ، وقيّدت بعضاً من شواردها ، واتّخذت لك من تتبعها نديماً يذكّرك بشعور إخوانك فيها. ويصوّر لك من مشاهداتهم ومكابداتهم ما يشركك معهم وأنت ناء عنهم- فالفضل في كلّ ذلك إنّما يعود الى مصدر الفضل الفيّاض، ولسان المجد النضناض، وربّ الهمّة الشامخة، والعبقرية الباذخة، السيد أبي بكر بن شيخ الكاف لا برحت عتبة سدته مقصودة، وأيادي سعادته محمودة.

وإليه أقدّم هذه الرحلة التي هي من ولائد معروفة ، وصنائع أياديه. وهو الذي لو ظلّ اليراع ساجداً يبث معروفه ويبث مكارمه. لما رفع رأسه الآ عن قصور شاين وعجز باين. والسلام

تريم منتصف شوال سنة ١٣٥٠ هـ

محمد بن هاشم

إبتداء الرحلة

في أواسط ربيع الآخر سنة ١٣٥٠ هـ وردت التحارير المبشّرة بتوجّه الزعيم السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف من سنقافوره إلى المكلاّ وبمعيّته جماعة من السادة آل الكاف وغيرهم ونظراً إلى ذلك فقد تجدّد هنا عزم صديقنا العزيز السيد أبي بكر بن شيخ الكاف للسفر إلى الثغرين ــ الشحر والمكلاّ ــ وانبعث لعزمه عزم جماعة من أصدقائه يزداد عددهم يوماً فيوماً حتى بلغ يوم الرحيل نحو عشرين، ومعهم مثلهم من الخدم ، والذين تحضرني أسماؤهم الآن ما عدا السيد أبابكر بن شيخ: هم هؤلاء ــ من أعضاء نادي الشبيبة رئيسنا السيد عمر بن شيخ الكاف وكاتب هذه الرحلة والسادة عبدالرحمن بن حسين وعمر بن حسن وشيخ بن عبدالرحمن وسقاف وشيخ أبنا أبي بكر وأحمد بن عبدالله آل الكاف وحيدر بن سهل والدكتور محمد عمر حياة ومحمد بن ذياب ومحمد بدر. ومن غير أعضاء النادي السادة حسن وعبدالقادر أبنا شيخ وعلي بن عبدالرحمن آل الكاف وزين بن حسن بلفقيه والمشائخ عبدالله سبايا وعبدالله بن سعيد النجدي وسلمان شامي. والسيد أبوبكر بن شيخ الكاف معروف لدى أكثر قرّاء الرحلة بهمّته القعساء التي تفوق ثروته الطائلة بمراحل والباحث المحقّق يستغرب كثيراً عندما يرى الظروف والبيئات بهذه البقاع ــ قد تمخّضت بهذا الفذ النادر الذي هو ليس من نتائجها عادة ولا من معمولاتها ، فالرجل تراه في

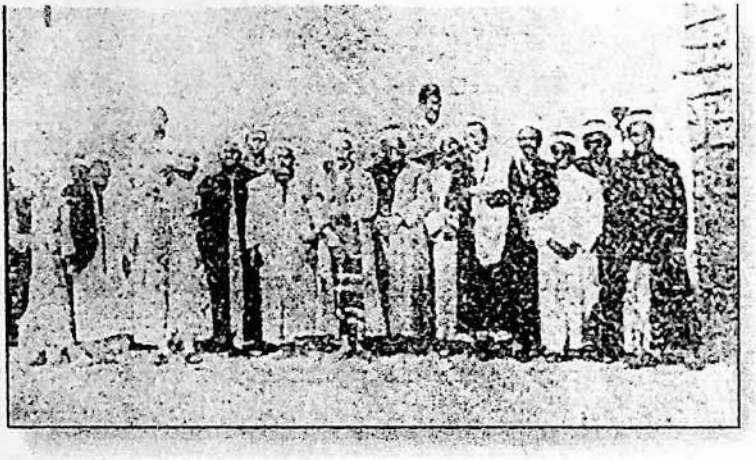
الوسط الذي يعيش فيه غريباً في همّته غريباً في أخلاقه غريباً في ثباته يسأل فيمنح ويؤذي فيصفح وله في وجوه الفضائل غرر بيضاء تسير بها الرّكبان وتتزيّن بذكرها المحافل.

أمّا المقصود الرئيسي من الرحلة علاوة على التسلّي والتنزُّه هو استعجال ملاقاة السيد عبدالرحمن ومن بمعيّته من الإخوان والأصدقاء والأنس بمسامراتهم ومحاضراتهم وإدخال السرور عليهم طوال هذا الطريق الشاق من الساحل إلى المقر.

ثم إنّ لصديقنا السيد أبي بكر آمالاً عظيمة في السلطان عمر بن عوض والتعاون معه على الإصلاح العام في القطر الحضرمي وتسهيل المواصلات وتعميم الأمن وغير ذلك من الآمال الكبيرة التي لا تجيش في غير صدر ذلك الألمعي الجليل. وكل هذه الآمال إنّما هي مبنية على ما يتلقّاه هو وأخوه من آونة إلى أخرى من تحارير السلطان وأصحابه والمتقرّبين إليه من الوعود الخلاّبة والأماني الجذّابة وانتحال الإصلاح والتظاهر بنصرته وتطريز جُلّ مكاتباتهم بهذه الكلمة البديعة فكان ذلك من أقوى بواعث الرحلة وتجشّم المشاق في طي تلك الفيافي وتسلّق تلك العقاب.

وقد تقرّر السفر يوم الإثنين لتسع خلت من جمادى الأولى من هذه السنة (١٣٥٠هـ) وفي ذلك اليوم تناول كاتب هذه الرحلة طعام غدائه في عيديد بمنزل السيد شيخ بن عبدالرحمن الكاف وبعد الغداء توجّهنا الساعة السابعة والنصف بعد الظهر إلى منزل السيد أبي بكر لنرحل منه مع القوم ولكنّا وجدناهم قد رحلوا فسرنا توّاً وأدركناهم تحت عقبة المسندة والسيد أبوبكر

نازل عن سيارته وبحضرته السيد أحمد بن عمر بن يحيى وإبنه العلاّمة اللغوي محمد وكلاهما مودّعان



(١) بعض أعضاء نادي الشبيبة المتحدة ــ بتريم.

ثم تسلّقنا العقبة على متون السيارات واستغرق صعودنا عليها نحو ٢٠ دقيقة على رأسها وصلّينا العصر يؤمّنا السيد زين بلفقيه. وارتفاع هذه العقبة نحو نصف كيلومتر وطريق السيارات بها معبّد بطريقة متينة غير أن الصعود عليها والنزول منها مخيفان من حيث ضيقها فهي لا تتسع لغير سيارة واحدة، ويساير الركاب من الجهة المقابلة للجبل هوات عميقة هائلة تهلع منها القلوب عند تصوّر غلطة من السائق تخرج بالسيارة عن عرض الطريق لا سمح الله ويكثر هذا التصوّر عند المنعطفات والتعاريج التي تكثر في تلك العقبة.

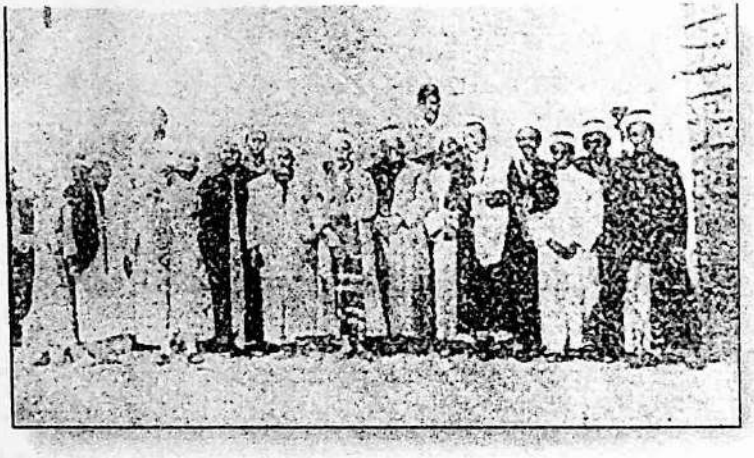
الوسط الذي يعيش فيه غريباً في همّته غريباً في أخلاقه غريباً في ثباته يسأل فيمنح ويؤذي فيصفح وله في وجوه الفضائل غرر بيضاء تسير بها الرّكبان وتتزيّن بذكرها المحافل.

أمّا المقصود الرئيسي من الرحلة علاوة على التسلّي والتنزُّه هو استعجال ملاقاة السيد عبدالرحمن ومن بمعيّته من الإخوان والأصدقاء والأنس بمسامراتهم ومحاضراتهم وإدخال السرور عليهم طوال هذا الطريق الشاق من الساحل إلى المقر.

ثم إنّ لصديقنا السيد أبي بكر آمالاً عظيمة في السلطان عمر بن عوض والتعاون معه على الإصلاح العام في القطر الحضرمي وتسهيل المواصلات وتعميم الأمن وغير ذلك من الآمال الكبيرة التي لا تجيش في غير صدر ذلك الألمعي الجليل. وكل هذه الآمال إنّما هي مبنية على ما يتلقّاه هو وأخوه من آونة إلى أخرى من تحارير السلطان وأصحابه والمتقرّبين إليه من الوعود الخلاّبة والأماني الجذّابة وانتحال الإصلاح والتظاهر بنصرته وتطريز جُلّ مكاتباتهم بهذه الكلمة البديعة فكان ذلك من أقوى بواعث الرحلة وتجشّم المشاق في طي تلك الفيافي وتسلّق تلك العقاب.

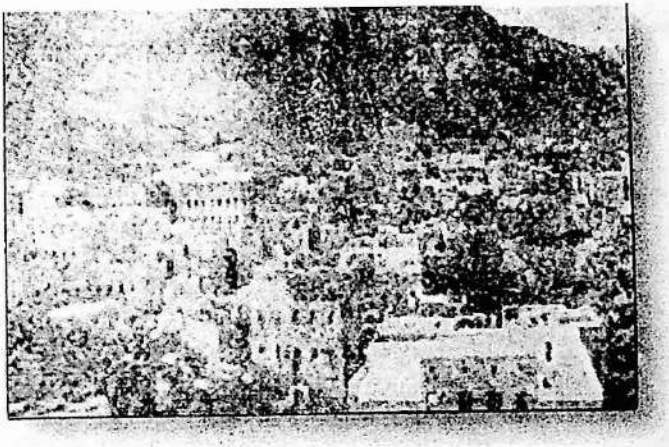
وقد تقرّر السفر يوم الإثنين لتسع خلت من جمادى الأولى من هذه السنة (١٣٥٠هـ) وفي ذلك اليوم تناول كاتب هذه الرحلة طعام غدائه في عيديد بمنزل السيد شيخ بن عبدالرحمن الكاف وبعد الغداء توجّهنا الساعة السابعة والنصف بعد الظهر إلى منزل السيد أبي بكر لنرحل منه مع القوم ولكنّا وجدناهم قد رحلوا فسرنا توّاً وأدركناهم تحت عقبة المسندة والسيد أبوبكر

نازل عن سيارته وبحضرته السيد أحمد بن عمر بن يحيى وإبنه العلاّمة اللغوي محمد وكلاهما مودّعان



(١) بعض أعضاء نادي الشبيبة المتحدة ــ بتريم.

ثم تسلّقنا العقبة على متون السيارات واستغرق صعودنا عليها نحو ٢٠ دقيقة على رأسها وصلّينا العصر يؤمّنا السيد زين بلفقيه. وارتفاع هذه العقبة نحو نصف كيلومتر وطريق السيارات بها معبّد بطريقة متينة غير أن الصعود عليها والنزول منها مخيفان من حيث ضيقها فهي لا تتسع لغير سيارة واحدة، ويساير الركاب من الجهة المقابلة للجبل هوات عميقة هائلة تهلع منها القلوب عند تصوّر غلطة من السائق تخرج بالسيارة عن عرض الطريق لا سمح الله ويكثر هذا التصوّر عند المنعطفات والتعاريج التي تكثر في تلك العقبة.



(٢) منظر جانب من مدينة تريم الغنّاء المحروسة

ولو أتيح لسيارتين أن تتلاقيا هناك إحداهما صاعدة والأخرى هابطة لحدث إشكال يصعب حلّه. وتعبيد هذه العقبة والحق يقال أثر من آثار همة عظمى يجب أن ينظر إلى صاحبها بعين الإجلال والإكبار لأنه من الندرة والغرابة بمكان أن يعمد فرد واحد إلى النهوض بمثل هذا المشروع الذي لم تحلم به الأجيال الماضية ولم يتصدّ للمساعدة فيه أحد من أهل الجيل الحاضر بل اقتصر بعضهم على التسفيه والتفنيد وآخرون على الثناء والتحبيذ.

ثم ركبنا بعد صلاة العصر وسرنا توّاً واستمر السير تتخلله وقفات قصيرة حتى وصلنا إلى حرو حوالي الساعة الثانية ليلاً قطعنا خلالها نحو ٦٢ ميلاً وهناك صلّينا المغرب والعشاء جمع تأخير وعدد سياراتنا سبع.

وحرو هو متّسع من الأرض الصلدة يبلغ اتّساعه نحو ١٢ كيلومتر وتبعد عن تريم إلى الجنوب الشرقي نحو ٦٠ ستين ميلاً، يسكنها بادية آل جابر الشنافرة[1].

---

[1] نظراً إلى أن السيارات يتحتّم عليها المرور بحرو فقد أخذ السيد أبوبكر عهداً من قبيلة آل جابر في حماية السيارات وركّابها وحفظ الطريق من الاعتداءات والمفاجآت الضارة وإلى القارئ نص العهد المزبور عليهم وتوقيع الموقعين عليه، ويسمى العهد في عرفهم (وثراً) ويرى القاري في هذا الوثر وما يتبعه من الوثور أسلوباً كتابياً خاصاً بأهل هذه الديار تتجلّى فيه الحيطة التامّة والمبالغة في الاحتراز.

وجميع الوثور والمعاهدات لا يلبث غالباً أن يسقط أحد طرفيها وهو الطرف المتعلّق بالأعزل عن السلاح أو الخالي عن القوة فيداس كأن لم يكن رغماً عمّا يملأ به الخافقين من الاحتجاجات والصراخ. وهذه النهاية ويا للأسف تكاد تكون نتيجة طبيعية لجميع المعاهدات منذ عرفها التاريخ. وهاك نص الوثر بين السيد وآل جابر-:

" الحمد لله وحده... بتاريخ ٨ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ وبعد فقد شلوا واحتملوا بوجوههم مبدأ صلح وحلف القبيلة آل جابر لدى الواضعين مباديهم أسفل المسطور للسادة آل الكاف القائم عنهم السيد أبوبكر بن شيخ الكاف في طريق المواتر المتواصلة من حضرموت إلى البنادر لمنافع المسلمين والمسلمات حسب مقام السيد أبوبكر المذكور في الصلاح الذي به النفع للخاص والعام شلوا واحتملوا وبدوا بوجوههم القبيلة آل جابر المذكورين للسيد أبي بكر المذكور بأمان الطريق بوجوههم وكذلك مرور جميع المواتر حق السادة آل الكاف وغيرهم ومشيها من حضرموت الى البنادر ومن البنادر الى حضرموت طالعة أو خارجة المواتر ومن فيها من أوادم وغيرهم إلا الحمول فقدهم معنقين بوجيه القبيلة آل جابر المذكورين، وليس تحصل عليهم خلافة ولا هوش ولا قهر. والمواتر المذكورات تمشي في أراضيهم بأمانهم وفي وجوههم وتشومهم وتلومهم ولا مانع على الذي داخل المواتر ولا تخريب في الطريق. وبالجملة شلوا واحتملوا وبدوا بوفاء ما ذكر القبيلة آل جابر الجميع للسيد أبوبكر بن شيخ الكاف المذكور مبدأ قبوله هم وأولادهم وأولاد أولادهم أبداً ما تناسلوا حتى يشيب الغراب ويفنى التراب ويرث الأرض وارثها بأن كل خلافة أو ضرر يحصل من أحد أنّه يشومهم ويلومهم ويعتبهم

ويسود وجيههم ولا لهم بيضاء إلاّ بالمقام ولا للقبيلة آل جابر خفية من الوجه المذكور. ومن تبرّأ منهم ما بريء. وإن حصلت خلافة من بين آل جابر والدولة آل عبدالله ليس على المواتر ومن فيها أقل اعتراض وهن بوجيه المذكورين حسب ما ذكر أعلى. شلّوا وتحمّلوا بعهد الله وميثاقه الوثيق وهو عليهم وكيل.

- ✓ بدأوا بوفاء ما ذكر وا حتملوا بوجيههم سهل بن علي بن عبود بن ضوبان - وسهل بن عيضه بن عبدالله - وصالح بن عمر بن علي -وعلي بن سالم ، ومنصور بن سعيد بن ضوبان عنهم وعن أنفسهم وعن كافة قبيلة آل ضوبان.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر أعلاه واحتملوا بوجيههم بدر بن عوض بن بدر - وصالح عمير - وسعيد كرامه - وعوض بن سعيد - وسعيد بن كرامه - وصالح بن سالم بن علي سرور آل علي بن سهل.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر أعلاه حسن بن عبدالله بن سنام على كافة آل علي بن عمر الجابري.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر أعلاه محمد بن علي بن العبد بن علي بن عمر الجابري عن نفسه وعن كافة آل علي بن عمر آل جابر.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر أعلاه عن نفسه وعن كافة قبيلته صالح بن بخيت الشرخي.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على كافة قبيلة آل سلطان علي بن سالم بن عوض بن سلطان الجابري.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على كافة قبيلة آل صبيح ناجي بن عبدالشيخ بن صبيح الجابري.
- ✓ بدأ بوجهه على ما ذكر أعلاه وتحمّل به على كافة من ضفوه سالم بن ضوبان بن سعيدان الجابري.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على كافة قبيلة آل سلطان سعيد بن حسن بن علي بن كليواش بن سلطان الجابري.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على نفسه وعلى أخيه أحمد بن سعيد وعلى كافة حلفائه منصور بن سعيد بن مرعي بن هجار الجابري.
- ✓ بدأ بوفاء ما ذكر أعلاه سعيد بن بدر بن سعيدان وعلى من ضفه.

- ✓ بدأوا بوفاء ما ذكر وشلّوا وتحمّلوا بوجيههم عوض بلعطاء وعوض بلعبد وصالح بن سالم كليبان عنهم وعن كافة آل سعدون
- ✓ بدا بوجهه واحتمل بوفاء ما ذكر أحمد بن سعيد بن مرعي بن محمد بن محمد بن هيال عنه وعن أخيه منصور بن سعيد وعن كافة آل هيال.
- ✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً عبدالحبيب بن عبدالشيخ بن مقيدح على رجال آل مقيدح.
- ✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على كافة قبيلة آل جعفر ومن ضفوه صالح بن سعيد ابن كردوس الجعفري الجابري.
- ✓ بدا بما ذكر أعلاه وتحمل بوفائه على ذلك الوجه على نفسه وكافة قبيلته ومن ضفه أحمد بن صالح بن حسين الجابري.
- ✓ بدوا بما ذكر أعلاه باطن المسطور واحتملوا بوجوههم عوض بن أحمد بن حسين وابنه علي ابن عوض بن حسين آل جابر.
- ✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على نفسه وكافة قبيلة آل سهيل بن بدر العشيوا بن بدر بن جابر الجابري.
- ✓ بدا بوفاء ما ذكر واحتمل على نفسه وكافة قبيلته ومن ضفه سعيد بن صالح بن علي الجابري.
- ✓ بدا بوجهه وشلّ وتحمّل عن نفسه وكافة قبيلته ومن ضفوه ناجي بن هويدب بن جمجوم الشرخي.
- ✓ بدا بوفاء ما ذكر عن نفسه وعن كافة آل يماني بن عمر ومن ضفوه يماني بن عمر بن الهوطلي.
- ✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً وتحمل بوجهه وشلّ عن نفسه وعن كافة آل أحمد بن عبدالله وآل بزيع ومن ضفوهم عبدالله بن سالم بلحزز.
- ✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً وتحمل بوجهه عن نفسه على ما بدا فيه يماني بن عمر بن الهوطلي عمر ابن محمد بن طهيش.
- ✓ بدوا بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّلوا بوجيههم على أنفسهم وعلى كافة آل بن ذرب سالم وسعيد ابني عبدالله بن أحمد بن ذرب الجابري.
- ✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على نفسه سالم بن صالح بن كريم الجابري.

وكانت حرو في القديم محلاً لإنتاج الحمر الصغيرة ذوات الجلد الأغبر ولا تزال تنسب إليها وإن قلّ إنتاجها إيّاها أو عدم. وما كدنا نصل حرو حتى بلغ بنا الجوع أشدّه وكان المظنون أن القوم مستعدون بكمية وافرة من الأرز والسمن ولما أن أخذ المفوض إليهم هذا الشأن بالاستعداد للطبخ وقد نصبوا القدور وبحثوا عن الأرز فلم يجدوه وتبين أنّهم نسوه في البلد فحدث عندئذ ضجة عظيمة وأسف شديد. ولم يسعهم إلاّ أن يأكلوا قليلاً من الكعك وأخذ بعضهم مضاجعهم وذهب آخرون لشراء غنمة وطفق البعض الآخر يتسامرون وكنت ممّن آثر النوم ولم أشعر عند الساعة السادسة نصف الليل إلاّ ورئيس نادينا المحبوب حضرة السيد عمر بن شيخ يوقظني للمشاركة في تناول اللحم فذهبت ووجدت الجماعة ينهشون لحماً شويّاً وآخرين مغليّاً بدون أرز ما عدا نحو شطر منه وجدوه مع بعض البدو مطبوخاً طبخاً غير مقبول فلم يذقه أحد إلاّ واشمأز منه ودفعه إلى الآخر. ثم عدنا إلى المضاجع وانتبهنا للفجر وصلّيناه جماعة يؤمّنا السيد زين بلفقيه.

✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على نفسه وعن كافة قبيلته ومن ضفوه السيد محمد ابن عمر بن محضار بن قطبان.

✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً وتحمّل بوجهه على نفسه وعن كافة قبيلته آل عكشان ومن ضفوه عبدالله بن عمر بن ضميدان.

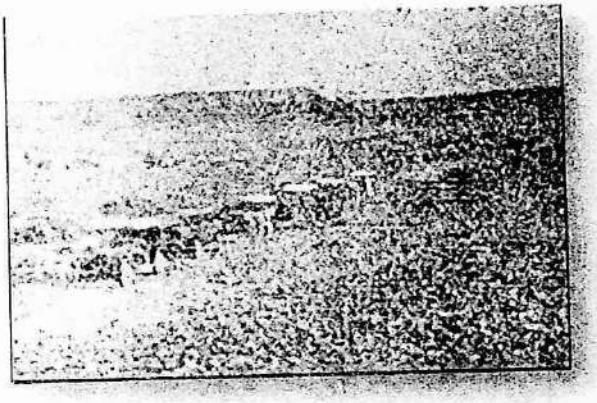
✓ بدا بوفاء ما ذكر سالم بن سعد الهوطلي على ما بدا فيه يماني بن عمر بن الهوطلي على آل يماني ابن عمر.

✓ بدا بوفاء ما ذكر باطناً وشل وتحمّل بوجهه على نفسه وعن كافة قبيلة الشرخه ومن ضفوه رئيس ابن سعيد بن شذيان الشرخي.

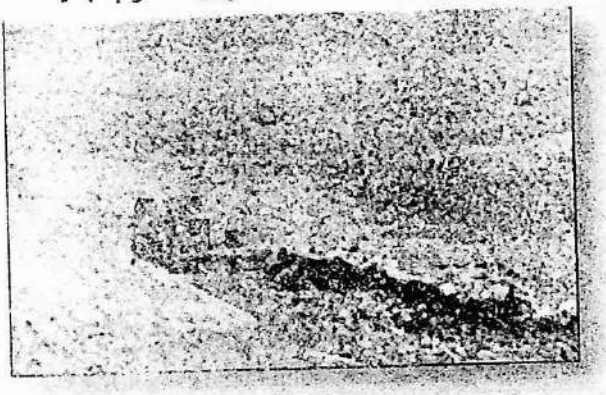


(٣) من مناظر طريق السيارات بعقبة المسندة

وفي يوم الثلاثاء بعد أن تناولنا طعام الفطور صباحاً ركبنا السيارات الساعة الحادية عشر والنصف إلى الريدة، وعند وصولنا أطراف حرو الجنوبية اضطررنا إلى الوقوف والنّزول عن السيارات لإصلاح خلل طرأ على تعبيد الطريق الصاعد إلى الجبل، وذلك بسبب انحدار مياه المطر من الجبل إليه. فأخذ الرفاق كلهم يكدّون ويعملون في إصلاح ما يمكّن السيارات من المرور. وقد استطعنا بعد نحو ساعة أمضيناها في العمل أن نجتني ثمرة كَدِّنا فأقحمنا السيارات ذلك الطريق الوعر وانطلقنا ذاهبين.



(٤) السيارات واقفة عند الطريق المخرّب بمياه المطر



(٥) الطريق المخرّب بمياه الأمطار

وعند وصولنا إلى الريدة لقينا العناء الكبير من البدو (المعارة) تحت ديارهم، فقد تعرضوا للجوالات واحدة بعد الأخرى واستوقفوها مطالبين بحقّ خفارة زاعمين أن ذلك الخفير الذي استصحبناه راكباً على الجوالة المتقدّمة غير كاف إذ لا بُدَّ في زعمهم لكلّ جوالة من شخص منهم يكون خفيراً لها.

وكلّ هذا لينالوا حطاماً يسيراً من النقود. وكان حضرة السيد أبي بكر قد سبر من قبل طباع هؤلاء الناس، فأمر بتقديم الجوالة التي فيها الخفير ومع هذه الحيطة لم يغن شيئاً.

واستوقفونا ولم يبالوا باحتجاجاتنا وإقناعاتنا حتى جاءت الجوالة الأخيرة تقلّ السيد أبابكر فاستطاع بعد اللتيا والتي استطاع أن يقنعهم وذلك لما يعهد عنه من سخائه الحاتمي.



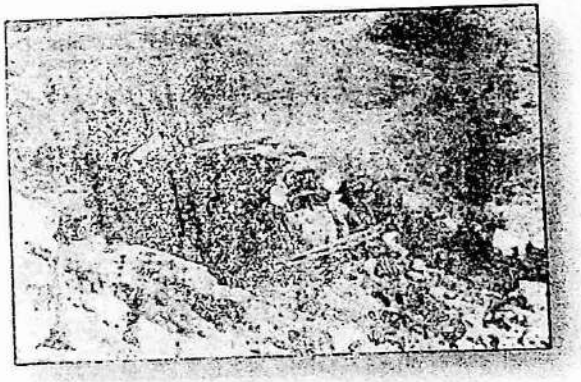
(٦) الرفاق يكدّون في إصلاح خلل الطريق

وهنا يرى السامعون والقرّاء كيف يعاني الكرام من اللئام وكيف يصل اللؤم المتجسّم بأولئك الأنذال السفهاء الذين يستهويهم الطمع ويغرّهم حملهم السلاح وعدم قوّة تجاههم تستطيع كبح جماحهم.



(٧) بعض الرفاق يطبخون الشاي

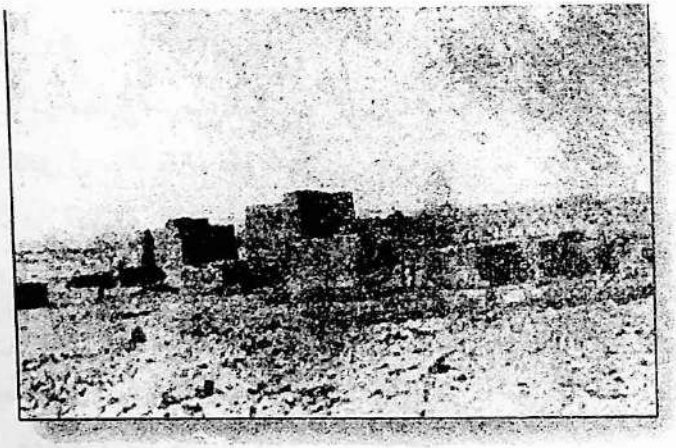
وأننا لنتأكّد لو أنّ النقود التي قد صرفت إلى أجربة هؤلاء المخلوقين وأكياسهم في سبيل مرور السيارات بأرضهم – لو أنّ تلك النقود صرف نصفها فقط في شراء مدفعين رشاشين من نوع المترليوز تقلّهما سيارتان مدرّعتان ، ونصفها الآخر في التجهيز على تلك الخريبات المندثرة – لأصبحت البادية كلّها خاضعة والأمن مستتب على طول الخط.



(٨) أول سيارة اقتحمت الطريق المختل بعد أن مهّده الرفاق



(٩) المعاره يعترضون رفاقنا



(١٠) ريدة المعارة



(١١) فتاة معارية مبرقعة

ولقد صدق أبو الطيب إذ يقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقلت أنا من قصيدة ألقيتها في حفلة نادي الشبيبة المتحدة بزعيم الوطن السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف – قلت منها مشيراً الى هذه الواقعة :

فإن فشل المعروف فالسيف وحده كفيلٌ بتقويم الذي لم يقوّم

وخير علاج للأثيمين أن ترى سفينا من الأشلاء تمخر في الدّم

وأيّ امرئٍ لم يشفه مرهم الندى سيشفى بماضي الشفرتين المسمّم

وأيّ بناء شيّد بالنّقد وحده فما هو إلاّ ذو الأساس المهدّم

والمعارة ينتهي نسبهم إلى مذحج وعددهم الآن نحو ثلثمائة متسلّح فقط ويتفرّعون إلى ١٢ فخذا[1].

---

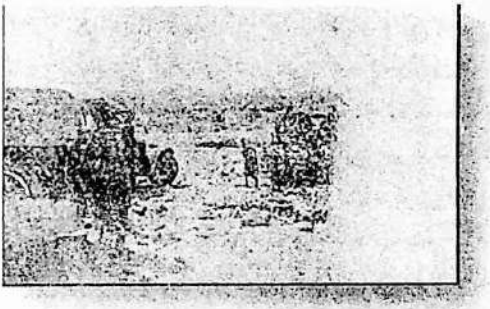
(١) إنّ السيد أبابكر لم يغفل منذ نحو سنتين عن تقييد قبيلة المعارة بوثرمتين ننقله للقرّاء بنصّه الحرفي وهو:

الحمد لله وحده بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٣٤٨هـ وبعد فقد شلّوا واحتملوا وبدوا بوجيههم مبدأ صلح القبيلة وحلفها المعارة لدى الواضعين أسماءهم ومبادئهم أسفل المسطور عن نفسهم وعن كافة المعارة للسادة آل الكاف القائم عنهم السيد أبوبكر بن شيخ الكاف في طريق المواتر المتواصلة من حضرموت إلى البنادر ومن البنادر إلى حضرموت لمنافع المسلمين والمسلمات حسب مقام السيد أبوبكر المذكور في الصلاح الذي به النفع العام والخاص شلّوا واحتملوا وبدوا بوجيههم القبيلة المعارة المذكورين للسيد أبوبكر بن شيخ المذكور بأمان الطريق بوجيههم وكذلك مرور جميع المواتر حق السادة آل الكاف وغيرهم ومشيتها من حضرموت إلى البنادر ومن البنادر إلى حضرموت طالعة أو خارجة المواتر ومن فيها من أوادم وغيرهم إلاّ الحمول فقدهم معنقين بوجيه القبيلة المعارة المذكورين وليس تحصل عليهم خلافه ولا هوش ولا قهر والمواتر المذكورات تمشي في أراضيهم بأمانهم وفي وجيههم وتشومهم وتلومهم ولا مانع على الذي داخل المواتر ولا تخريب في الطريق وبالجملة شلّوا واحتملوا وبدوا بوفاء ما ذكر القبيلة المعارة الجميع للسيد أبوبكر بن شيخ المذكور مبدأ قبوله وأولادهم وأولاد أولادهم أبداً ما تناسلوا لحتى يشيب الغراب ويفنى التراب ويرث الأرض وارثها بأنّ كل خلافة أو ضرر يحصل من أحد أنه يشومهم ويلومهم ويعتبهم ويسوّد وجيههم ولا لهم بيضاء إلاّ بالمقام ولا للقبيلة المعارة خفية من الوجه المذكور ومن تبرّأ منه ما بريء. وإن حصلت خلافة من بين الدولة آل عبدالله والمعارة ليس على المواتر ومن فيها اعتراض وهن بوجيه المذكورين حسب ما ذكر أعلى. شلّوا واحتملوا بعهد الله وميثاقه الوثيق وهو عليهم وكيل

الإمضاءات	سعيد بن احمد بن قيدوم المعاري عن كافة قبيلته
سعيد بن عبود بن ثابت المعاري	عمر بن سالم بن عوض الشميمي المعاري
علي بن سعيد بن بسوط المعاري	حسن بن أحمد بالحول المعاري
أحمد بن عبود بن ثابت المعاري	أحمد بن سعيد بن ثابت المعاري
عمر بن سعيد بلعمر المعاري	عوض بن أحمد بن جرهوم المعاري



(١٢) المعارة يعترضون سياراتنا



(١٣) بعض السيارات استوقفتها المعارة

سعيد بن عمر بلقوهب المعاري — سعيد سالم باحسن المعاري
عبود بن عمر باعقبان المعاري — عوض بن عمر بن سنام بلهندوان المعاري
سعيد بن سالم بن سلمان المعاري — أحمد بن سعيد بلهندوان المعاري
أحمد بن ثابت المعاري — مبارك بن صالح بلفرفي المعاري
سالم بن سعيد بحسن المعاري — سالم بن سعيد بن محمد بلهندوان المعاري
محمد بن سالم بحسن المعاري — عمر بن سعيد باعقبان
سالمين بن سعيد باحسن — عمر بن عوض بحسن
عوض بن عمر باعقبان — سعيد بن محمد بحسن المعاري

سالم بن علي بحسن- سعيد بن عمر باعقبان المعاري- سعيد بن سالم الشيبة المعاري

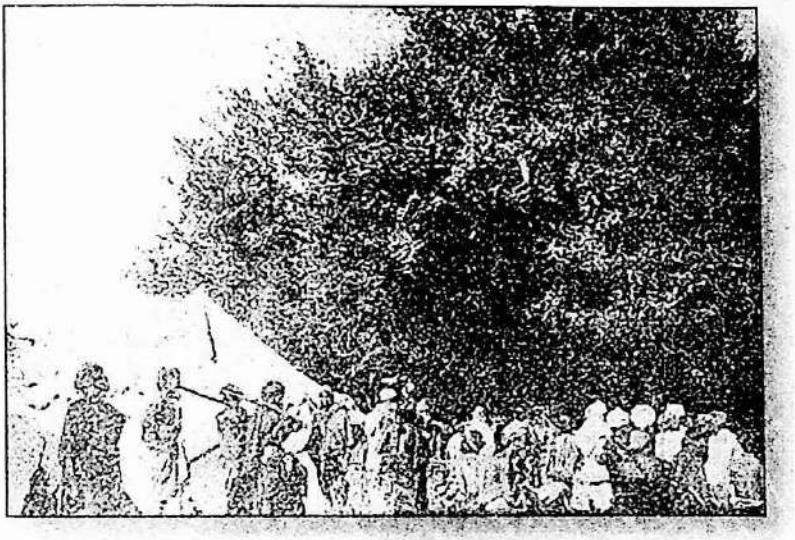
ومن العجيب أنّه بينما رجال القبيلة يصخبون ويلغطون ويطالبون السيد أبابكر وسلمان شامي بحقوقهم الموهومة – ترى نساءهم على غاية الوداعة والهدوء يطفن حولنا ويستدرن بالسيارات متعجبات من شكلها وأدواتها ، وربما سألنا ببساطة فطرية وطلاقة وجوه عن مزايا الآلات فنجيبهن على قدر أفهامهن. وقد أقبلت نحوي غادة منهن فسألتني: "ما هذه الأظلاف والأكارع التي في قوائم صاحبك هذا" تعني بذلك الجزمة التي يحتذيها الدكتور محمد عمر وكان زميلي في السيارة ، ثم لمستها بيدها فحرّك الدكتور قدمه فارتدّت الغادة مذعورة إلى الوراء فضحكنا وضحكنا ، والرجال في صخبهم وضوضائهم.

وكنّا وصلنا الريدة الساعة الثالثة صباحاً وظللنا تحت دوحة المشط الكبيرة التي يبلغ قطرها نحو متر ونصف ويستظل بها مائة شخص على الأقل.



(١٤) امرأة معارية ومعها طفلها

وهي شجرة يودع البدو على أغصانها كثيراً من أمتعتهم ويعتقدون أنّه لا يتعدّى عليها أحد إلاّ قصمه الله. وفي ذلك النهار كثر الوافدون على ركبنا من البدو فأضيفوا أحسن ضيافة وذبحت لهم الأغنام وتغدّى منهم خلق كثير.



(١٥) المعارة تحت شجرة المشط الكبيرة

وبعد أن صلّينا العصر تقديماً رحنا على ظهور الحمر التي يبلغ عددها ٢٥ حماراً والتقينا هناك بالقطار الذي استقدمناه من تريم يحمل زادنا ومرافقنا. وتركنا السيارات تحت الشجرة وديعة عند المعارة بعد أن صار بينهم نزاع عظيم على اقتناء مصلحة الإيداع – الأمر الذي تجنّبناه بعد رجوعنا.

وامتطاؤنا ظهور الحمر وتعريض أجسامنا للفح الشمس وتيار الهواء، والاحتفاظ بالوضع المزري والحركة الشائنة التي يقتضيها ركوب الحمير

فيسبّبان ألماً شاقّاً في الظهر والرجلين - كلّ هذا من أشقّ ما يكون على النفس وأمره بعد التمتّع بالسيارات الفاخرة ذوات الأرائك الجميلة والفرش الوثيرة والحركة الشائقة والسرعة المتناهية في قطع المسافة. وطفق الركاب يتذمّرون ويتأفّفون ممّا آلت إليه حالهم من النّكوس ورجوع القهقري في المدنية والرفاهية. فكانت المسافة التي قطعناها على متون السيارات من تريم إلى الريدة مائة وأربعة أميال[1].

---

[1] لا تزال المواصلات ووسائل النقل بحضرموت على ما كانت عليه قبل ألوف السنين. فالجمال الموقرة هي العامل الوحيد في إيصال البضائع من الساحل إلى الداخلية. والمطايا الأنيقة والخيول المطهمة والحمر الفارهة هي المعوّل عليه في قطع المسافات. إلاّ أنه طفق أخيراً رجال من ذوي اليسار يتبارون في اقتناء السيارات للركوب وأخذوا يعبّدون الطريق لجولانها براحة.

ويدهش للداخل إلى تريم ما يراه بها من التطوّر الغريب في سنين قلائل واختراق السيارات العديدة شوارعها وجولانها في ميادينها من دون أن يتقدم ظهورها أولا عربات الخيل أو عجلات البقر كما جرت به عادة التطور التدريجي.

والقادم من الشحر إلى تريم يلزمه أن يمضي ثمانية أو تسعة أيام ممتطياً ظهور الجمال أو الحمر تارة ومتسلّقاً شوامخ العقاب أخرى تحت أشعة الشمس المحرقة أو تيّارات الزمهرير القارصة.

ومن أجل هذا نهضت بحضرة السيد أبي بكر همّته لتمهيد طريق للسيارات بين الميناء والداخلية يبلغ طوله نحو ثلثمائة كيلومتر وقد ناصف في العمل وجهّ. العمال وأعدّ لهم ما يلزمهم للباقي وحالف عشائر البادية الذين تمرّ السيارة بأرضهم وطمأن خواطرهم وأزال خوفهم من كساد كراء جمالهم إذا تكاثرت السيارات واستمرّ سيرها. كما أنّه بذل الشيء الوافر من المال تلقاء رضاهم بمرور السيارات بأرضهم ومحافظتهم على طريقها وحمايتها، وعقد بينه وبينهم المعاهدات كما رأيته في غير هذا الموضع. ولا ريب أنّ هذا كلّه عمل صعب شاق لا يقدم عليه إلاّ من أتاح الله له همّة قعساء وقوّة إرادة تتحطّم دونها المشاكل المعترضة، وتتمهّد تجاهها الحواجز المستعصية.

وكان رواحنا من الريدة الساعة الثامنة بعد الظهر ووصلنا الكريف (الخزان) المملوء بالماء بعد ساعة ، وحططنا به ريثما طبخنا فيه طعام العشاء وتناولناه، ثم رحلنا منه الساعة الأولى بعد المغرب وقطعنا نحو ستة عشر ميلاً إلى الغلاغيل الذي وصلناها الساعة الخامسة بعد نصف الليل. وبتنا بها في برد شديد. وعند الساعة الأولى صباحاً أقبل قطارنا المتأخر الذي يقلُّ أقوات الركب وعلف الدواب وعليه بعض الركاب الذين يركبون الجمال.



(١٦) ونحن راكبون على الحمير

وحطوا معنا وظللنا في ذلك المكان ، وذبحنا عدداً من الغنم وتناولنا عند الساعة التاسعة عصراً طعامنا بعد أن كسرنا شره الجوع نصف النهار بتمر

وشواء. وبعد صلاة العصر توجّهنا نؤمّ سفح عقبة العرشة ، فوصلنا إليه الساعة الرابعة ليلاً فكانت مرحلة قاسية قطعنا فيها نحو العشرين ميلاً. وما بلغنا المحط حتى بلغ بنا التعب أقصاه وانفرط عقد الركب فهبطنا العقبة مثنى ووحدانا. وكنت أنا والسيد عبدالقادر بن شيخ والشيخان عبدالله سعيد السبايا وعبدالله النجدي أواخر من وصل. وذلك أننا تأخّرنا للبحث عن السيد بن سهل إذ سمعنا صوته أعلى العقبة فانتظرناه طويلاً ولمّا لم يأت ناديناه بصوت عال فلم يجب ، وكان الظلام سائداً ومنظر العقبة موحشاً والسكون مستولياً على الوسط ما عدا صوت خرير الماء في وسط الجبل ، فصرخنا على من هم تحت العقبة من الرفاق لنسألهم عنّا إذا قد وصل إليهم السيد بن سهل ولكنهم لم يسمعوا صراخنا لما هم فيه من ضوضاء وشغل شاغل. ولدى وصولنا إليهم لم نجده بينهم ، وأرسل القوم بدوياً للبحث عنه في العقبة فجاء به بعد برهة.

وبهذه العقبة مواضع على الطريق كانت سابقاً مزلقاً لأخفاف الجمال وحوافر الحمر لضيقها ووعورتها ، وقد راح ضحية المرور بها عدد غير قليل من الدواب، بيد أن المغفور له السيد حسن بن عبدالله الكاف قام بالواجب نحو ذلك فعبّد الطريق ووسّعه ورصف ما يلزم ترصيفه حتى أصبح الآن طريقاً آمناً تمرُّ فيه الجمال وغيرها براحة واطمئنان ، وكان ذلك بعمل المهندس الوطني عبيد باعديل الملقّب بالإنقريز[1].

---

[1] للسادة آل الكاف ملوك الذهب بهذه الأصقاع فضل عظيم على القطر الحضرمي بارز لا ينساه التاريخ. فقد وجّهوا هممهم السامية إلى إصلاح المواصلات وتذليل ما وعر من العقبات ، وبذلوا من خزائنهم في هذا السبيل المال الكثير احتساباً لله تعالى وحُبّاً في إصلاح البلاد وراحة العباد ،

وارتفاع هذه العقبة ثلاثة آلاف وخمسمائة وعشرة أقدام استغرقنا في هبوطها نحو ٤٥ دقيقة لتعاريج الطريق وانعطافاتها ووصلنا سفحها الساعة الرابعة والنصف بعد العشاء. أمّا الجمال فلم تستطع المبيت بمبيتنا بل باتت بعيدة عن قمة العقبة وأدركتنا في صبيحة اليوم التالي وكان زادنا وعلف دوابنا بصحبتها كما مر.



(١٧)

وفي صباح اليوم نفسه وهو يوم الخميس اختار جماعة من رفاقنا الغدو إلى قرية عرف يقدمهم السيدان حسن وعمر أبناء المغفور له شيخ الكاف. وبقينا نحن بمعية السيد أبي بكر وجماعة آخرين وجيء لنا بعدد وافر من الرمّان وهو صغير الثمر إلاّ أنّه صادق الحلاوة نوعاً وهو يزرع بتلك البقاع في عرف

فقد حفروا الخزانات العميقة وشادوها على أحسن وأمتن طرز ، وسبلوا المياه في السقايا التي بنوها منتشرة في بقاع القطر المتعسّر فيها وجود المياه.

والفياعين ونواحيها. وهناك وافانا البشير بوصول السيد عبدالرحمن ومن بمعيّته إلى المكلاّ.

وفي العشية رحنا من سفح الجبل الساعة التاسعة بعد الظهر إلى الفياعين التي وصلناها الساعة الأولى بعد المغرب. وبأثناء الطريق إلتقينا بالإخوان الذين غدوا إلى عرف وبتنا بالفياعين وهو منتزه مخضر بالعيون المتفجّرة دائماً. وأبطأ علينا طعام العشاء إلى الساعة السادسة نصف الليل وذلك لتأخّر الجمال عن اللحاق بنا. والفوضى في الحطّ والترحال هي التي سبّبت لنا كلّ هذه الأتعاب فترى الواحد من ركاب الحمر إذا شدّ بردعته على حماره تبعه الآخرون متسابقين إلى السير غير ناظرين إلى الحالة ولا إلى رئيس يضبط السير ويدير شؤون الرحلة.

أمّا السيد أبوبكر فلم يكن من شأنه ولا من شأن إخوته إدارة الركب وتنظيم شئونه للمشاغل العظيمة القائمة به وأن ديموقراطية هذا السيد وولعه بالحرية ومنحها لمن يطلبها ، كل هذا جعله يلقي حبل كُلٍّ على غاربه.



(١٨) في سفح عقبة العرشه

وفي صباح الجمعة نهضنا قبل الفجر وشددنا الرّحال وسرنا نحو ميل ثم صلّينا الصبح جماعة بإمامة السيد زين بلفقيه واستأنفنا السير إلاّ أن جميع ركّاب الجمال يمشون على الأقدام لأن الفصل (مفاوضة الكراء) كان مع بدوي من العصابات المناوئة للدولة القعيطية[1] وهو قد تسلّم كراءه وذهب وجعل بدوياً آخر نائباً عنه في حمل الحمول من عرف إلى الشحر وهذا رفض حمل الركاب بحجّة أنّ موكّله لم يخبره ولم ينبه في ذلك وهي تعدُّ غفلة من الركاب إذ لم يلزموا فصالهم بالإتيان بنائبه أمامهم حتى يخاطبهم بحضرتهم. ولعلّ الفصّال تناسى ذلك قصداً، أو أنّه أخبره في خلوة وأنكر النائب فكانت تبعة هذه الغفلة المشي على أقدامهم إلى الشحر وهي مسافة لا يستهان بها.

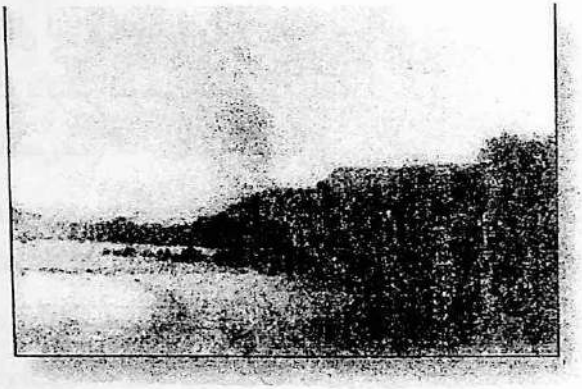
والغفلة والإهمال وعدم الاحتراز طالما كان مغبّتها النّدم والجد العاثر.

ووصلنا الصرك وهو موضع يبعد عن الشحر بنحو عشرة أميال، فأرسلنا الحمير وانتظرنا قدوم السيارات من الشحر لأننا كنّا قد قدمنا وصالاً إليها طالبين إرسال السيارات في نفس الوقت. وجاء في أثناء الإنتظار حامية الطوابى التي بجوارنا للترحيب بالسيد أبي بكر فنفحهم بما يلزم.

---

[1] تسكن جبال حضرموت قبائل من صميم العرب من قضاعة ونوح ونهد وكنده وحمير ومذحج وغيرها. وكلها لا يزال بينها ذحول ودماء وثارات – الأمر الذي سبب عدم استقرار حكومة قوية بتلك البلاد على نظام ثابت – لما تعانيه من شغب باديتها وجدب أرضها. فإذا أقيمت بها حامية كبرى عجز خراج البلاد عن تموينها، وإن أقيمت بها حامية قليلة العَدَد والعِدَد لم يحفل الأهالي بها ولم تستطع الحكومة أن تخضع البادية كلها وتدخلها تحت طاعتها، وهذا الحال هو الجاري في الوقت الحاضر.

وبعد الإنتظار نحو ساعة ونصف أقبلت خمس سيارات ركبنا فيها إلى الشحر ، وقد وصل معهن السيد المهندس علوي بن أبي بكر الكاف والسلطان غالب بن محسن.



(١٩) في عرف

وحين دخولنا الشحر لقينا عند سدّتها عدداً عظيماً من الناس المتجمهرين. وقد قصدنا توّاً إلى الباغ فدخلناه وطفنا به قليلاً ، وكانت الأزقّة والطرقات حواليه ملأى بالمتجمهرين. والباغ سراية ملوكية مترامية الأكناف إلاّ أنه يحتاج إلى تكميل، وقد ابتاعه السيد أبوبكر من السلطان عمر بعد مفاوضة طويلة[1] ثم إن السيد أبابكر أمر بتكميله وتفخيمه ، ولقد أمعنّا النّظر في

---

[1] ورد في مكتوب من سمو السلطان عمر للسيد عبدالرحمن الكاف بتاريخ ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ عبارة تتعلّق بشراء الباغ آثرنا نقلها حفظاً للحقيقة ودفعاً لما ينشره بعض ذوي الأغراض من الأراجيف الزائفه - قال سموه :

"وأيضاً نعلمكم أن السيد أبابكر بن شيخ لم يزل يكاتبنا في طلب الباغ بالشحر مع قطعة أرض خارج الدور شرقاً بجانب مسلف عيديد. ثم بعد البحث والنظر إلى ارتباط الصداقة ورفع

الصفة الدقيقة التي بذلت فيه فرأيناها تدلُّ على مهارة العمّال وإتقانهم غير أننا لاحظنا بطأهم في العمل وتثاقلهم. فالمدّة الطويلة التي قضوها في الشغل تستلزم عادة أثراً أكثر من الواقع. ولعلّ هذا ناتج عن عدم تخصيص ناظر عليهم لا شغل له إلاّ النظارة والملاحظة. نعم أنّه كان هناك أشخاص أوصاهم السيد أبوبكر بالإشراف على العمل إلاّ أنهم لم يكن فيهم من هو خصّيص لهذا ومن هو له التفويض التّام في الإدارة.

ويوم وصولنا للشحر وهو يوم الجمعة ١٣ جمادى الأولى وفد جلّ أعيان البلاد على السيد أبي بكر للترحيب به. ومن هؤلاء حضرات السادة عبدالرحمن بن محمد بن الشيخ أبي بكر وإبنه عبدالله مدير مدرسة مكارم الأخلاق ، والسيد الحسين بن عبدالله العيدروس منصب السادة آل العيدروس ووفد أيضاً أمير الشحر[1] الجمعدار سالم بن أحمد القعيطي وجماعة كثيرون.

الشكوك وصفو الخواطر لبّينا طلبه وأعطيناه الباغ وقطعة الأرض التي خارج الدور..... ولكن لما رأينا السيد أبابكر مكلّف على ذلك ويعدنا بعمارة الأرض وجلب الناس قبلنا منه..... والآن إن شاء الله حسب وعده نرجو أن يباشر بالوصول إلى طرفنا ويشرع في الصلاح والعمارة ونحن إن شاء الله نساعده في كل ما يحتاج إليه المساعدة التّامة. وقصدنا أنتم مثله تأخذون محلاً وترغبون في صلاح الطريق. كذلك سنساعد السيد أبابكر في المرابطة مع القبائل وبهمّته ومساعدتنا له سيصلح كلّ أمر بحوله تعالى.

[1] هي أوسع مدائن الموانيء القعيطية ، فهي مدينة فسيحة الأرجاء قديمة التاريخ وكانت العرب في الجاهلية تقيم بها سوقاً سنوياً عند منصرفها من سوق عكاظ والشحر في الوقت الحاضر شهيرة بجودة أسماكها وكثرتها وهم يسمّون السمك الصغير عيدا بفتح العين المهملة والكبير صيدا. قال بعض أدباء الحضارمة في مهجره متفكّهاً :

من لي بوطء ثرى تلك البقاع إذا ... ما جئت مستقبلاً عودي إلى وطني

هناك أنشد مسروراً ومفتخراً ... (العيد والصيد والأسماك تعرفني)

وفي العشيّة رحنا وجماعة من الرّفاق إلى شاطئ البحر لشم نسيمه العليل الذي بعد عهدنا به والتسلّي برؤية تموّجاته السارة. وللبحر واصطخاب أمواجه منظر بديع فعّال في النّفس لا سيّما لمن شاهده من قبل أو غاب عنه طويلاً. والبحر خلق عظيم يمثل سلطان الطبيعة وجبروتها ويذهب رؤيته بالنّفس والشعور مذاهب بعيدة في التصوّر والخيال. وإنّ انكسار الأمواج على الصخور وارتدادها عن الشطئ لشعر مؤثر تتغنّى به لسان الطبيعة يفهمه الكاتب والأمي والسميع والأصم على السواء.

وفي ذلك اليوم أرسل السيد أبوبكر رسولاً إلى المكلاّ لأخيه السيد عبدالرحمن يسأله عمّا إذا كانوا سيأتون إلى الشحر أم يطلبون منّا الذهاب إليهم.

والشحر كان من القديم ثغراً تجارياً مهمّاً يتنافس في امتلاكه ملوك الجزيرة ، وله ذكر مجيد في التاريخ القديم والحديث -لسنا الآن بصدد ذكره - وقد بلغ عمران الشحر مبلغاً لا بأس به لا سيّما في أيّام السلطان المرحوم الحاج عوض بن عمر القعيطي[1].

---

[1] هو نجل المغفور له عمر بن عوض القعيطي مؤسّس الدولة القعيطية وأحد أمراء الجالية الحضرمية بالهند في حيدر أباد الدّكن. قام منذ نحو ثمانين سنة فنصر قومه يافع وبذل الأموال الطائلة في لمّهم وردّ من رحل منهم عن حضرموت إلى ما بقى لهم منها كالقطن وحصون يافع بجوارها ، وأرضى من قدر على إرضائه من السادة العلوية وأظهر لهم احتراماً وإجلالاً ثابر عليه هو وذريته إلى الآن فاستجلب بذلك من نفر عنه. ولم يزل يكدُّ ويكدح ويسعى ويبذل حتى ظفر بمدينة شبام غدراً سنة ١٢٧٤هـ على يد مولاه الحاج الماس الحبشي ثم بعد موت الحاج عمر خلفه أولاده عوض وصالح وعبدالله الذين سلكوا سبيل أبيهم فتمّ لهم يسعى الأمير عوض الذي سمّي أخيراً - السلطان عوض - وهو المذكور في الرحلة الإستيلاء على جميع شواطئ حضرموت من مهرة شرقاً إلى قرب وادي حجر المشهور بكثرة نخيله في الجاهلية والإسلام إلى

وقد كانت السفن الشراعية التي كان يمتلكها بعض بيوتات الثروة بالشحر قبل أربعين سنة أكثر من ثلاثين سفينة تمخر البحر بين الشحر والمكلاّ ومسقط وعمان والبصرة وعدن وشرقي إفريقيا وغير ذلك. ولكن الآن لا شيء من ذلك مطلقاً.

والشحر في الوقت الحاضر سائرة نحو الخراب والدمار سيراً حثيثاً يتجلّى ذلك للداخل إليها من أوّل وهلة. فالشوارع خالية والمنازل مقفرة خربة والسوق خال إلاّ من بضعة دكاكين مفتوحة يتثاءب أهلها كسلاً وكسادا. وفي الشهر الماضي تداعى من منازل الشحر خمسون بيتاً على ما يقال ، كلّها لا يقدر ذووها على ترميمها أو تشييد بدل عنها. فاضطروا إلى استئجار منازل أخرى أحقر من تلك درجة وأعتق عهداً تأويهم وعائلاتهم حتى يقضي الله ما هو قاض. ويبلغ عدد سكان الشحر اليوم نحو خمسة عشر ألف نسمة.

الآن. ولد السلطان عوض سنة ١٢١٦ وفي سنة ١٢٨٤ جهّز على الشحر جيشاً جرّاراً مؤلّفاً من عرب وهنود قدمها بهم بحراً من الهند ، فما عتم أن فتحها عنوة وقوّض منها سلطان آل كثير ثم استولى أخيراً على غيرها فكانت الدولة اليافعية هي الثانية ترتيباً والأولى قوة والأوسع نطاقاً. وقد كاتبت الإنقليز على يد الأمير عبدالله بن عمر أخي السلطان عوض ووكيله. ثم وسع السلطان عوض ملكه واستولى على حَجر سنة ١٣١٠ وتملّك بعدها دوعن واستفحل أمره وهابته قبائل حضرموت. توفي رحمه الله عام ١٣٢٧ ، وقد كان رجل حزم وعزم وجدّ وجلد وهمّة وشجاعة ودماثة أخلاق. محافظاً على مأمورات الدين بعيداً عن قاذورات أمراء الهند تغمّده الله برحمته. ثم خلفه بعد موته ابنه السلطان غالب رحمه الله فسار على منهاجه. وكان وزيره المدبّر الأمور له هو وزير والده والنّافذ الكلمة عنده السيد المغفور له الحسين بن حامد المحضار العلوي. وهو أيضاً كان وزير السلطان الحالي عمر بن عوض بن عمر المتولي بعد أخيه السلطان غالب رحمه الله ووزارة السلطان عمر أبقاه الله الآن مسندة إلى السيد الجليل أبي بكر بن الحسين بن حامد المحضار العلوي.



(٢٠) سوق الشحر

والشيء الوحيد الذي أبقى للشحر جزءاً من مركزها التجاري هو ولع أهل حضرموت الشرقية باستجلاب أقواتهم وبضائعهم وجميع حاجياتهم الواردة من الخارج بطريق مينائها الموحش المنظر والسيء الحال. والحضارمة قوم جبلوا على التقليد وجمدوا على تقديس العادات ، فهم لا يكادون ينفكُّون عمّا عهدوه ولو كلّفوا في التمسُّك به خرط القتاد واحتمال ما لا يحتمل من الضيم والذّل ، فإن محتكري الجمرك يرهقونهم بتكرار الرسوم إرهاقاً لا يعرف في شيء من بقاع الأرض الواسعة.

والداخل من حضرموت إلى الشحر يرى البحر عن شماله في الجهة الشرقية وسدة البلاد الكبرى أمامه متّجهة إلى الشمال ومرتكز عليها حصن

شامخ بني في عهد الجمعدار عبدالله بن عمر القعيطي حوالى سنة ١٢٩٩. أمّا الآن فقد تصدّعت جدرانه وذهب رونقه ولم يعبأ به أحد. ومثله الخوران أو اللسانان الممتدان إلى داخل البحر وهما طرفا السور الشمالي والجنوبي. وكانا قد بنيا مع السور في زمن الجمعدار المذكور بناءً محكماً متيناً إلاّ أن لطم الأمواج على طول العهد أثر فيهما فخربا ولم يجدا من يهتمّ بهما. وكانتا منذ سنوات قلائل زينة البلاد وحصنها الحصين وكانت المدافع مركبة عليهما تصدّ العدو. وترحّب بالصديق وتؤذن بالأعياد وهلال رمضان. ومنذ تحطُّم البناء وقعت المدافع المذكورة تحت أنقاضه وهي إلى الآن مدفونة تحت الأحجار وفي قعر البحار تشهد بالإهمال على خلف أولئك الأجداد العاملين. وسور الشحر مبني على شكل دائرة مفتوحة من جانب البحر في الجهة الشرقية ويبلغ قطره نحو (٢) كيلو ونصف وارتفاعه نحو ثلاثة أمتار ونصف تقوم عليه أبراج متعددة بين كلّ برج وآخر نحو خمسين متراً. وللسور سدّتان كبيرتان إحداهما شمالية والأخرى غربية، وبينهما عدد غير قليل من المسالف[1].

وقصر الحكومة بالشحر هو الشهير بدار ناصر ويقيم به الحاكم الآن وينزل به السلطان إذا حضر. بناه سلطان الشحر سابقاً ناصر بن بريك[2] حوالى

---

[1] جمع مسلف "الباب الذي هو على مصراع واحد".

[2] دولة آل بريك انقرضت في سنة ١٢٨٣ على يد السلطان غالب بن محسن بن عبدالله الكثيري حين فتح الشحر عنوة في ٦ جمادى الآخرة من السنة المذكورة فهرب عنها آل بريك ممتطين مراكبهم الشراعية ماخرة عرض البحر وبذلك تقوّضت دولتهم حتى الآن.

والسلطان غالب المذكور هو محيي مُلك آل كثير بعد اندثاره بتغلّب يافع على جميع وادي ابن راشد ما بين شبام وقسم. وكان قبل أن يتأمّر بحضرموت ممّن هاجر إلى الهند وتوظّف في

العسكرية عند ملك الدكن فصار نوّاباً واكتسب ثروة ساعدته على اخراج يافع من قلب حضرموت علاوة على ما كان يمدُّه به من المال والجاه من قام معه من السادة العلوية.

والدولة الكثيرية الأولى نجمت بحضرموت في أواسط القرن السابع وهي أقدم حكومة في تاريخ حضرموت الحديث وتُدعى الآن بحكومة (آل عبدالله) وقد مضى على تأسيسها ردح طويل ونفوذها ينبسط مرة ويتقلّص أخرى حتى هبّ الإمام العظيم المتوكّل من أئمة اليمن فنصرها ودمّر أعداءها ورد لها ملك حضرموت كله ولم يشترط عليها إلاّ إعلان الطاعة له وإقامة الشرع المحمّدي ولبعض أمراء هذه الدولة وهو السلطان بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر الكثيري المولود سنة ٩٠٢ من الهجرة شهرة حسنة. وقد طالت أيام حكمه لأنه تولّى وهو صغير السن وكان ممدوحاً من الشعراء، وهو الذي منع الترك عن الإستيلاء على حضرموت ثم اعترف لهم بالطاعة. وأرسل إلى القسطنطينية هدايا منها بعض أسرى من الإفرنج في واقعة الشحر مع البرتغال، وأرسل جيوشه لفك حصار الترك في زبيد وألزم أهل اليمن بطاعة الترك في أيام السلطان سليمان القانوني. وكانت وفاته عام ٩٧٧.

وآل كثير ينتسبون إلى همدان ويقول بعض المحقّقين أنّ نسبهم ينتهي إلى قضاعة وكان بعض أمرائهم بحضرموت قد جلب لتعزيز قوته رجالاً من يافع من حمير القاطنين بجهة اليمن السفلى وأدمجهم في عسكره حتى أطلق عليهم إسم (العسكر) إلى الآن فأعجبتهم حضرموت واستوطنوها وجنحوا إلى بعض السادة العلوية من أبناء الشيخ أبي بكر بن سالم وغيره وتمسّكوا بهم فطابت لهم الإقامة وكثروا بتناسلهم وبمن هاجر إليهم من قومهم حتى اقتطعوا لهم أوطاناً وحدوداً ودخلوا في عادات قبائل حضرموت واستمروا يشيدون مركزهم ويقوون نفوذهم حتى حكموا قرى متعددة، ثم استولوا على الشحر سنة ١٢١٩ وطردوا منها آل كثير ومكثوا بها نحو ٤٦ سنة ثم لعبت ببعضهم الأهواء فاستطالوا في الظلم ولم يراعوا حقوق الشرع المحمدي ولا عواطف السادة العلوية ذوي النفوذ الروحي بين العامة ولا من انضمّ إليهم من خيرة الحضرميين وعلمائهم فاضطرّ هؤلاء لمعاداتهم ونصروا آل كثير الذين حاربوا يافع حتى أجلوهم عن سرة حضرموت وسنامها.

ففي محرم الحرام سنة ١٢٦١ توسّط بعضهم في ابتياع بلد الغرف للدولة آل عبدالله من قبيلة القرامصة التميمية بثمن بخس قدره ١.٢٠٠ ريال فرانصة كما يسمونه أهل حضرموت. فجعلتها الدولة نواة لملكها الجديد ومقراً مؤقتاً للدولة الفتيّة.

وفي شهر الحجة سنة ١٢٦٢ سعى بعض السادة في عقد اتفاقية بين رجال الدولة المذكورة وعبدالقوي بن عبدالله غرامة المستولى على ناصفة تريم الشرقية. وقبل ذلك كان قد حصل الإتفاق بين آل عبدالله هؤلاء وبين همام صاحب حصن الرناد والخليف بتريم على أن تحتل الدولة معاقله كلها ويبقى هو فرداً كالأفراد في مقابل معاش يخصّص له من الدولة.

وبعد المفاوضة بين الدولة وبين غرامة في الإتفاقية وقع الاجتماع بمسيلة آل شيخ بقصر السيد العلاّمة عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي. وزبرت الإتفاقية على أن يفوّض غرامة أمور البلاد للدولة آل عبدالله في مقابل دراهم وافرة بذلوها له. وأن يؤول الأمر والنهي للدولة، وليس لغرامة تدخل في شئون الرعية البتة وله أيضاً معاش يومي قدره ٨ ريالات فرانصة يتسلّمها يومياً من الدولة، وكتبت الوثائق على هذا بحضور رجالات من السادة وغيرهم من القبائل.

وفي يومها دخلت الدولة تريم بموكب حافل وطبول وأعلام وإطلاق رصاص، الأمر الذي تألّم منه عبدالقوي في نفسه وكان رجلاً شهماً لا يال طموحاً إلى الرئاسة، قويُّ الرغبة فيها ولم يك بالشخص الذي ترضى نفسه الاستكانة والخضوع مهما اضطرته الظروف إلى الرضى بالتنازل والاعتزال.

لهذا كله لم تطل المدة حتى انتقضت الأمور وحدث سوء التفاهم بين الطرفين فثارت الفتنة واحتل غرامة وعبيده جميع المجف وما يليه من جميع الجهات واحتلّت باقي البلاد وتبودل الرصاص وثار مع غرامه بعض قبائل آل تميم وأنجده رجال من يافع سيون ونشبت الحرب وارتبكت البلاد واختلت الأحوال واضطرب الأمن واستولى غرامة على النقط الخارجية كالمحيضرة وحصن الشاطري وغيرهما.

وتوجّه السلطان عبود بن سالم الكثيري إلى غربي حضرموت لجلب عسكر للقتال واستمرّت الفتنة سائرة بتريم سبعة شهور وحفرت خنادق تحت الأرض متعددة وأشعل البارود تحت عدد من البيوت فحصل حريق وخراب ودمار، والرصاص المنطلق في الجو لا يسمح للطير بالمرور.

وفي تلك الإثناء عاد السلطان عبود بن سالم من جهة الغرب ومعه جيوش جراره من رؤسائها الشريف عبدالرحمن بن محسن ساكن مأرب وابنه، وطالب بن الحسين وعلي بن محمد العولقيان وقطيان الكربي وحصروا تريم ثم حملوا على المحيضرة ورجعوا عنها، واشتدّ الحصار على رجال غرامة جداً حتى أكلوا ما لا يؤكل في الاختيار.

ثم توسّط المصلحون ووقع الإتفاق على تحويل عبيد غرامة للدولة وله هو الحرية في البقاء بتريم أو الرحيل عنها، وله معاش مرتب من الدولة، ولكن الرجل كان أبي النّفس شديد الإحساس فلم يطب له المكث بجوار خصمه الجبار بل انتقل إلى سيوون ثم منها إلى المكلاّ وهدأت الأحوال وعادت جيوش الغرب إلى مواطنها وذلك في ربيع الثاني سنة ١٢٦٣.

ثم اتجهت أنظار الدولة نحو سيوون وبها آل الضبي ملوكها، وقد حدثت منهم حوادث غير ملائمة لمركزهم ولا خاضعة لقوانين السياسة مهدت السبيل لاستيلاء الدولة على البلاد ونفور الرأي العام عنهم، منها أن آل الضبى المذكورين قبضوا على جماعة من أعيان سيوون وأخيارها منهم العلاّمة السيد محسن بن علوي الصافي والسيد جعفر بن شيخ السقاف العلويان والمشايخ عمر بن عبدالرحمن فقيه وعبدون السبايا واعتقلوهم في دار الشيخ عبدالله بن زين باسلامه ثم حولوهم إلى دار الصبّان وأيضاً صدر من الشيخ عبدالله بن هرهرة وأخيه عبدالرب كلاماً فظيعاً جداً في عرض السيد محسن بن علوي زاد نفور العامة.

ثم إنّهم لم يطلقوا المعتقلين إلاّ بعد تغريمهم عن أهل البلاد مبلغاً عظيماً من المال قدّموا فيه حلي نسائهم ذهباً وفضة، وأرسلوا تلك الأموال إلى الثغر ليجتلبوا بها أقواتاً وبضائع ولّما أن أقبلت القافلة من الثغر موقرة بتلك الأرزاق تعرّض لها رجال آل عبدالله على الجول وبلغ النذير إلى يافع فهبّت للذب عن القافلة وسلكوا وادي جثمة والتقوا وخصومهم على الجول وهناك قامت الحرب على قدم وساق وقتل من الفريقين خلق كثير، وفرّ جمّالوا القافلة بها إلى الناحية الشرقية من حضرموت فسقطت في احضان الدولة هناك.

وبعدها بأيام أقبل السلطان عبود بن سالم في ألفي مقاتل فحطّ تحت سيوون ثلاثة أيام ثم أمر جماعة من قبائله بالهجوم على البلاد فدخلت فرقة من قبيلة العوامر إلى ساحة طه وانتشر خبر الهجوم في البلاد فهلعت القلوب وحسب آل الضبى أن الهاجمين أكثر بكثير من الحقيقة فلم يروا للمقاومة وجهاً وباتت الشرذمة العامرية في البلاد خائفة تترقب وفي اليوم التالي قبيل الظهر دخل عدد غفير من قبائل الدولة من جهة جثمة ونادوا بالأمان فاطمأن الناس وصليت الجمعة بمسجد طه واستولت الدولة على الحوطة والسحيل ولم تمضي ١٥ يوماً حتى خلصت لهم البلاد وهدأت الأحوال.

وكان السلطان غالب شجاعاً عالماً حسن الأخلاق محبوباً تغمّده الله برحمته. توفي سنة ١٢٨٧.

وقد خلفه في السلطنة نجله الأكبر المنصور بن غالب المتوفى بالحجا حاجاً سنة ١٣٤٨ رحمه الله

أواسط القرن الماضي. أمامه باحة كبرى تنتهي إلى السوق ، وبه منازل جمّة بعضها واسع وكلّها على الهندسة العتيقة التي لا تلائم الذوق العصري.

وكأن الجمعدار المرحوم عبدالله بن عمر القعيطي وابن أخيه المغفور له السلطان غالب بن عوض لم يريا في هذا القصر كفاءة لسلطنتهم ورئاستهم فبدءا في تخطيط قصرين ضخمين أحدهما الباغ[1] المذكور آنفاً والثاني حصن بن عياش الضخم. وشرعا فعلاً في بنائهما إلاّ أن القدر حال دون اتمامهما فماتا في أثناء العمل وكان نهاية أمر هذين القصرين أن باع السلطان عمر بن عوض أحدهما وهو الباغ وبقي الآخر مهملاً تؤمّه الغربان والبوم ، وبقيت في حصن ناصر كفاية القانع.

ويوم السبت عصرا ورد الشحر السيدان الكريمان عبدالإله بن محمد بن علوي الكاف وعبدالرحمن بن شيخ الحبشي على الرفّاص (الموتر بوت) الذي امتلكه حضرة السيد عبدالرحمن الكاف واستصحبه معه من سنغافوره. فطلبا من رفاقنا الذهاب إلى المكلاّ.

وفي هذه العشية عمل أهل عقل باعوين لعب الشبواني أمام الباغ وتبارى فيه الشاعران عباد وقشمر وكلاهما كانا مجيدا إلا أن الأخير رأيناه أسرع إلى البديهة.

والشبواني من أحسن الألعاب الحضرمية المسلية لما حواه من النظام البهيج الرائق – الأمر الذي لا يحويه غيره من الألعاب الحضرمية الأخرى. ولمّا يترنّم

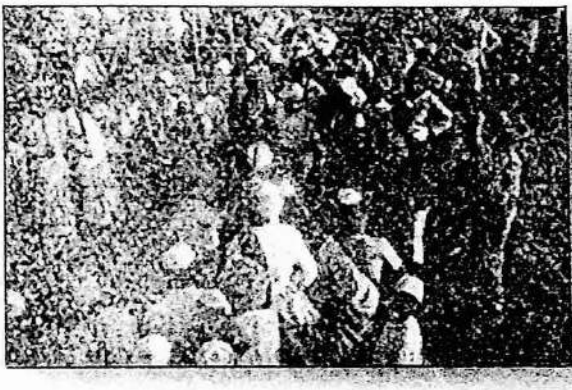
وقام بالسلطنة بعده نجله الأكبر علي بن المنصور وهو السلطان الحالي أبقاه الله تعالى.

[1] الباغ كلمة هندية معناها الحديقة أهـ مصححة.

به لاعبوه من الأغاني الشيقة المقبولة لدى السمع والطبع. وأيضا لما فيه من تباري الشعراء وقول الشعر بالبديهة الرامزة إلى الوقائع الحالية.

وفي صباح الأحد ١٥ جماد الأول توجهنا إلى المكلاّ في الرفّاص. وتخلف منا جماعة اختاروا الركوب برّاً في سيارة. منهم رئيس نادينا السيد عمر بن شيخ الكاف وحضرة الدكتور محمد عمر حياة.

وكان عند ركوبنا القارب الذي يوصلنا إلى الرفّاص ضجّة عظيمة معهودة كما هي عادة النوتية في الشحر. وتسابق من الأجلاف على حملنا ووضعنا في القارب كما تحمل الطرود وتوضع. وذلك لأن ميناء الشحر من أتعس الموانى وأوعرها إذ لا رصيف يرسو القارب إليه بل يترك راسيا داخل البحر بحيث إن قاصد الركوب فيه يلزمه أن يخوض الماء إلى خصره على الأقل. ولهذا يضطر من يحرص على بقاء ثيابه سالمة من البلل أن يمتطي أكتاف الرجال للوصول إلى القارب. والمسافة من الشاطئ إلى مرسى الرفّاص تستغرق تجديفاً نحو تسع دقائق. وقد وصل ركاب السيارة بعدنا إلى المكلاّ بنحو أربع ساعات. وقالوا إنهم قطعوا الطريق في ثلاث ساعات. أما نحن فقد قطعناها في ثلاث ساعات وكانت نزهة بحرية جميلة. وتخلف من رفاقنا في الشحر الشيخان سلمان الشامي وعبدالله النجدي.



(٢١) الرجز في لعب الشبواني

ولدى وصولنا المكلا[1] تلقانا على الرصيف حضرات السادة النبلاء عبدالرحمن بن شيخ وعبدالله بن الحسين آل الكاف وعبدالرحمن بن شيخ

---

[1] كانت المكلاّ قبل استيلاء الدولة القعيطية عليها في حوزة الدولة الكسادية وكان أميرها إذ ذاك النقيب صلاح بن محمد الكسادي اليافعي.

وأول ما اتجه نظر السلطان المرحوم الحاج عوض بن عمر القعيطي إليها كان في سنة ١٢٨٢هـ حينما اتحد هو والنقيب صلاح المذكور ضد الدولة آل عبدالله. وغزوا حضرموت بجيوش جرارة من عرب وهنود ، وهناك كانت المعركة الفاصلة التي تسمى وقعة المحايل ، وانكسرت فيها الجيوش المتحدة انكسارا تاما.

وكان السلطان عوض قد أسلف النقيب حينذاك مائة ألف من الريالات حصته في مصاريف الحرب. وبقيت هذه النقود في ذمة النقيب. منذ ذلك الحين بدأ السلطان عوض يشعر بضرورة استيلائه على المكلاّ. فما فتئ يتحين الفرص حتى وافاه وهو بحيدر أباد نبأ وفاة النقيب صلاح بالمكلاّ. فلم يترك أي وقت للتردد بل سافر حالا إلى المكلاّ ونزلها ضيفا على النقيب عمر بن صلاح المتولي بعد والده المرحوم. وأظهر أنه قدم معزيا. وبعد أيام ابتدأ يطالب بالمائة الألف الآنفة الذكر.

وكان المغفور له النقيب صلاح قبل وفاته جند جنودا وعبيدا ووجههما تحت قيادة النقيب مجحم إلى دوعن للفتح والاستيلاء فملك عددا من البلدان والقرى. ثم مات النقيب أثناء ذلك واستمرت مرتبات الجند وأقواتهم ومصاريف الحرب جارية فكانت خزانة النقيب عمر الكسادي خالية ولم يكن لها وارد غير جمرك المكلاّ الحقير. لهذا كله لم يجد مناصا من رفض طلب القعيطي المائة الألف.

وتوجّه السلطان عوض القعيطي إلى الشحر عازما في نفسه على إعداد المعدات واغتنام الفرصة بالهجوم على المكلاّ ما دامت جنود النقيب غائبة بدوعن. وأحس هذا بالشر فكتب إلى قائد جنده النقيب مجحم ليستحثه على الإسراع في العودة وترك ما قد امتلكه. ولم تخف على السلطان عوض هذه الفكرة فأرسل جماعة من السادة والمناصب وبعض أعيان القبائل إلى دوعن وأوعز اليهم بالسعي بالصلح بين أهلها والنقيب مجحم قائد جيوش النقيب الكسادي حتى يتريثوا بهم عن العودة بسرعة وتطول إقامتهم هناك. وفعلا جهز الجند وتقدمهم بنفسه واقتحم الحدود برا ودخل البلد فالتحم القتال وساءت الحال ثم قام جماعة من المصلحين فسعوا بين الطرفين بالصلح وقر الرأي على أن تقع البلد بينهما مناصفة الطوابي والحصون والجمرك وكل شيء واستقر الأمر على هذا. وهدأت الأحوال في الظاهر مدة غير طويلة. وأرسل النقيب سرا من يحث دولة آل عبدالله بحضرموت على مهاجمة الشحر ويخبرهم بضعف حاميتها ويعدهم أيضا بمساعدته إياهم وجلب العولقي وآل عمر باعمر أمراء الغيل إليهم. فطمع آل عبدالله بهذا وأقبلوا بقبائلهم وعبيدهم وانحاز إليهم العولقي وآل عمر باعمر كما وعدهم النقيب. وظلوا يوما وليلة في ضيافة العولقي بالحزم حصنه. ووصلت هذه الأخبار وأضعافها معها إلى مسامع السلطان عوض. كل هذا وقع مع قدوم مجحم جنوده من دوعن إلى المكلاّ. فلم ير السلطان عوض بدا من أن يتخلى عن المكلاّ وينسحب هو ومن معه إلى الشحر لحمايتها من الأحزاب المتجمهرة. وبهذا عادت المكلاّ إلى صاحبها النقيب بعد أن ضايقه ذلك الكابوس الثقيل عليه نحو ثلاثة شهور.

وحاصرت الأحزاب الشحر وضيقوا عليها برا وحطت قبائل آل كثير ويرأسهم السلطان عبود بن سالم وصالح بن مطلق وغيرهما في دفيقة موضع قرب الشحر. ومضت الشهور ثم السنون من دون طائل فتارة يقطعون سبل المارة. ومرة يحاولون الاستيلاء على قرية شحير التي

تبعد عن الشحر بنحو ١٢ ميلا. وأخيرا دب فيهم الفشل واعتراهم الملل واشتاق أكثرهم إلى وطنه وأخذوا يتسللون الواحد بعد الآخر حتى ضجر الباقون وانفضّوا جميعهم.

ولما أن خلا الجو للقعيطي توجّه إلى عدن وأخذ هناك يتذمر ويتظلم لدى حكومتها من النقيب ومماطلته ودسه الدسائس في القطر. وقد استطاع المغفور له عوض بن عمر ببذله الحاتمي ودهائه أن يؤثر على رجال الحكومة ويستميلهم إليه مع أن النقيب كان أقدم منه علاقة وأوثق صداقة بالانكليز. فتوسطت الحكومة رسميا في الصلح بينهما وبعد مفاوضة النقيب تقرر أن يتراضى الخصمان بحكم المحكمة. فأخذت منهما وثيقة بالتحكيم والرضى بالحكم مهما كان. وكان النقيب لا يشك في أنها ستحكم عليه بدفع المائة الألف تقسيطا. وإذا بالحكم قد صدر بتخييره إحدى ثلاث :- إما أن يدفع المائة الألف حالا. وإما أن يتسلم من القعيطي مائة ألف أخرى ويتخلى له عن المكلاّ وينتقل هو إلى بروم التي تبعد عن المكلاّ بنحو ١٤ ميلا. وإما أن يتسلم من القعيطي أيضا مائتي ألف فوق ما في ذمته ويتخلى له عن الإمارة بأسرها.

أما النقيب فرفض جميع هذه الخلال القراقوشية بكل إباء وأنفة وسأل الحكومة عما إذا كانت ترضى بإعادته إلى مقره فأجابته بالإيجاب وأرجعته إلى المكلاّ. وبعد عودته بنحو أسبوع لم يشعر أهالي المكلاّ إلا وبارجة حربية في الميناء خرج منها ضابط انكليزي قاصدا قصر النقيب.

وقد جاء هذا الضابط يحمل إلى النقيب تعليمات شاقة قاسية أوقعته في العريض الطويل. فقد أخبره أن رفضه حكم المحكمة مع التزامه على نفسه الرضى به من قبل شيء غير سائغ ولا مقبول لدى الحكومة. والآن إما أن يقبل إحدى الخلال الثلاث وإلا فإنه يضطر إلى ضرب الثغر بالمدفع. فصمم النقيب على الرفض وطلب من الضابط الإمهال ثمانية أيام ريثما يجمع شئونه وشئون عائلته وحاشيته ليبحر بهم من الثغر نهائيا. إجلالا لفوهة المدفع وفرارا من تدمير منازل الأهالي وقتل النفوس البريئة وإشهادا للتاريخ على عدل الشعب الانكليزي المتمدن!

وفي بحر هذا الأسبوع أخذ يحشد عائلته وحاشيته وما أمكنه حمله معه من أموال وأمتعة في مراكبه الشراعية الراسية بالميناء. فشحن ١٣ مركبا (وهذا هو العدد المشئوم عند الأوروبيين) وتوجّه في اليوم الثامن من يوم التهديد إلى عدن ولم يرض ضابط البارجة أن يغادر ببارجته إلا بعد أن أبحرت المراكب الشراعية وقد أمر بأن تقطر المركب التي تقل النقيب نفسه ومراكب أخرى معها بالبارجة لتجرها وراءها حتى أوصلهم عدن.

السقاف وحصل باللقاء سرور عظيم وركبنا السيارات إلى قصر السادة آل الكاف الفخم وظللنا ذلك النهار في حركة عظيمة من الزائرين والمرحبين. وهناك وجدنا عرضاً ضالتنا المنشودة وهو السيد الفاضل حسن فدعق العلوي وكنا عرفناه سابقا بمدينة فليمبان ثم في جزيرة سومطرة ابان تجرير ذيول الشباب وسكرة المرح وتأطدت بيننا حينذاك أواصر الصداقة ثم غادرنا بعد ذلك ولم نعد نسمع عنه شيئا إلا ما نقرأه أحيانا من تعلّقه بالمعية الفيصلية بدمشق ثم العراق. وذهبت الأعوام وما راعنا اليوم إلا وصديقنا المحبوب أمامنا. فكم كان سرورنا عظيما بذلك.

ومن الذوات الذين حضروا للترحيب برفاقنا حضرات السادات الفضلاء عبدالرحمن بن حامد وأبو بكر بن الحسين بن حامد آل المحضار والأخير هو الوزير الأول للدولة والقائم بإدارة مهامها. والسادة حامد بن علوي البار ومحمد علي الدباغ مدير مدرسة الفلاح وغير هؤلاء كثيرون. وفي العشية رحنا مع الرفاق إلى منزل السيد عبدالرحمن بن حامد المحضار ومنه ركبنا السيارات لرؤية المطار الذي في الفوه ويبعد عن المكلاّ غربا بنحو ستة أميال وبه إذ ذاك

وحاول النقيب هناك الاحتجاج والتظلم ولكنه لم يسمع له قول. فلم يسعه إلا أن يبحر بمراكبه إلى زنجبار بأفريقيا من دون أن تسمح نفسه العالية بقبول المائتي الألف التي جعلت تعويضا له. بل تركها حائرة مترددة بين الخصم والحكم العادل تسجيلا لهذه الكارثة المؤلمة. وذلك سنة ١٢٨٩هـ.

وإنما قصد زنجبار لصداقة كانت بينه وبين سلطانها السيد برغش. فقابله هذا بغاية الاحتفاء والإجلال وأقام عنده على الرحب والسعة حتى توفاه الله عليه الرحمة.

طيارتان انكليزيتان قدمتا في يومهما من عدن تقصدان ظفار. وكان ضابطهما يشرح لنا كل شيء يتعلق بطيارتيه.

وقد أخبرنا أنهما قطعتا المسافة من عدن إلى المكلاّ وهي مائة وخمسون ميلا في نحو ساعتين إلاّ ربع.

وبعد المغرب ذهبنا وحضرة الدكتور لزيارة مستشفى الحكومة فقابلنا فيه صيدلي عبدالقادر أفندي ابن علي حكيم طبيب المستشفى المذكور وقد رأيناه مستشفى لا بأس به يفوق في الترتيب والدواليب والرفوف صيدلية تريم ومستشفاها وإن يكُ هذا أوفر منه في لوازم الأدوية.

ويوم الثلاثاء صباحا عند الساعة الأولى ذهبنا مع حضرات الأفاضل الشبّان السادة علوي بن أبي بكر وشيخ بن عبدالرحمن آل الكاف والدكتور محمد عمر لسياحة بحرية على الرفّاص وصادفنا قليلا من هيجان البحر وكان حضرة الدكتور لا يطيقه فأخذه الدوار وقد اصطدنا كمية كبيرة من السمك بالصنارة. وحاول بعضنا اقتناص حمار البحر فرموه بالبنادق مرارا فلم يفلحوا. وأخيرا عدنا إلى البيت بعد سياحة بحرية استغرقت نحو ساعتين ونصف.

وعشية الجمعة ٢٠ جمادى الأولى أقبلت فرقة الكشافة لمدرسة الفلاح التي يديرها السيد الدباغ إلى قصر السادة آل الكاف وعدد أفرادها نحو الأربعين كشافا فاقتحمت الفناء بنظام بديع وهيئة سارة كاملة الشروط المعتبرة عند أهل هذا الفن إلا أنه يلاحظ عليها كون الكشافيين كلهم حفاة. وقد قاموا بألعاب رياضية مدهشة أعجب بها المشاهدون وقد أشار لهم أستاذهم النبيل حسن بك

شيبة الحجازي وهو شاب حسن البزة خفيف الروح جدا كان موظفا في حربية الحجاز بقسم الطيران أيام الشريف علي. أشار هذا الأستاذ للتلاميذ بإشارات مصطلح عليها بواسطة الإعلام وهم يكتبون ألفاظها. وقد اقترحوا علينا كتابة كلمات ليكتبها التلامذة بعد أن يشير لهم أستاذهم بها فكتبنا لهم أولاً (لتحيى الكشافة) ثم كتبنا لهم (للسادة آل الكاف فضائل كثيرة). وكتب لهم حضرة السيد عبدالرحمن الكاف (ليحيى العلم) ففهموا الإشارة وكتبوا الجميع بإتقان. ثم وزعت عليهم النقود والحلويات والكعك وانصرفوا جذلين.

ويوم السبت صباحاً قدم حضرة السلطان عمر بن عوض من عدن على باخرة من بواخر شركة كوسجي فذهبنا مع الرفاق إلى الباخرة لملاقاته وقابلناه في قاعة الاستقبال هناك فإذا هو رجل مديد القامة أبيض البشرة حليق الذقن له شاربان مرتفع طرفاهما إلى أعلى على الطريقة الغليومية معتدل الجسم في العقد السابع من عمره. فقابلنا ببشاشة وطلاقة وجه لابساً بدلة سوداء وعلى رأسه طربوش ومتمنطقاً بخنجر ثمين من نوع يقال له عند أهل حضرموت (جنبيّة) ثم نزلنا وإيّاه إلى البرّ بين الهتاف والزغرطة.

وما أن وضع قدمه على الرصيف حتى أطلقت المدافع وصدحت الموسيقى. وكانت العساكر النظاميّة مصطفة والأعلام خافقة والشوارع مزدحمة. وقد شيعه الموكب الحافل إلى سرايته الملوكيّة. وعند الخروج من رصيف الميناء قابلته تلامذة مدرسة الفلاح وأمامها لوحة كبيرة عليها إسم المدرسة وعلم أخضر عليه إسمها أيضاً. فاستوقفت الموكب والسلطان وأنشدت نشيد التّرحاب ثم

هتفت "ليَحيَى السُلطان ... ليَحيَى الوطن ــ ثلاثا ــ . وسار الموكب تتلقّاه من آونة إلى أخرى المدارس الباقية.

وعشيّة السبت عملت طائفة الحجور ويقال لهم هناك الصبيان رقصها المزعج أمام قصر السادة آل الكاف وهو رقص مخيف بهيئة منكرة أشبه شيء بما نراه في السينما من رقص النار التي تقيمه زنوج أفريقيا عند افتراسهم القرابين البشرية إذ تقف النساء قبالة الرجال ثم يأخذون في الغناء والرّقص بشكل تنفر منه الأذواق السليمة.



(٢٢) رقص الحجور

وفي يوم الإثنين بدأت المفاوضات الإصلاحية بين السادة آل الكاف وعظمة السلطان شفاهاً وكتابة[1] وكان المقصود منها الحصول على طريقة تضمن للقطر وأهله السعادة والفلاح.

---

[1] لننقل هنا شيئا مما دار في المكلاّ من المكاتبات بين حضرة السلطان عمر والسادة آل الكاف إبرازا للحقيقة ودحضا لما يشيعه بعضهم من الباطل ونسبة السلطان إلى الجفاء والغلظة وعدم المجاملة والدفع في صدور المصلحين بالشدة والجفاء.

معاذ الله أن يكون عظمة السلطان عمر كذلك ونحن شاهدوا عيان ولم نر من عظمته تجاه السادة آل الكاف وغيرهم من ضيوفه إلا كل لطف وظرف ودماثة أخلاق وحسن مقابلة. فمن نسب إليه غير ذلك فقد شذ عن الحقيقة.

ولنبدأ أولا بنقل تلغراف عظمته من عدن للسادة حينما بلغه وصولهم إلى المكلاّ:-

عدن ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣١م:

الكاف – المكلاّ. لا تروحوا حضرموت حتى نتفق بكم. نحن نصل لعشرين جماد.

((السلطان عمر))

وبعده ورد كتاب للسيد عبدالرحمن الكاف من عدن وهو هذا:-

الحمد لله ليد جناب المحترم الفاضل السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف سلمه الله. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. نحن بعافية أرجوكم كذلك، وصلتنا تلغرافكم أولاً إعلاماً بوصولكم البندر والثاني تسألونا متى نصل إليكم. فحيا بكم ومرحبا. فرحنا بوصولكم غاية والشوق إليكم. ونحن وصلنا من أوروبا في ثمان الجاري وقصدنا نتوجّه في الحال ولكن حسب تعلمون البوابير ليست هي حاصلة بكل وقت وكنا سنعزم مع الكرنل ريكات في الطيارة ولكن المذكور اعتذر بقل النفس في الطيارات وبابور قهوجي أوعد يحضر لنا الوابور في ٣٠ سبتمبر باقي تسعة أيام. وعدن شديدة الحر بهذه الأيام ولا أحد يطيق الجلوس بها ولكنا صرنا مجبورين وتأخرنا. وأنت لازم تريض لحتى نصل. الحذر تتوجّه بدون المواجهة معنا. الله الله في الراضة. والبندر إن شاء الله يوافق عندكم في الهواء. وحسبما بلغنا في هذا الوقت برود في البندر. وهذا صحبة الميجر ريكات. وإعلاما بوصولنا. هذا والسلام عليكم كافة.

حرر في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣١م. ((عمر بن عوض القعيطي))

أنظر إلى هذه الديمقراطية المتجلية في هذه السطور البسيطة التي تدلك على علو الأخلاق وكرم الطباع ولطافة الأروماة - المعاني الطاهرة التي ترمز إلى وضوح فرية من يرمي عظمة هذا السلطان بالجفاء والغلظة ومنافاة الأدب.

وإليك ما كتبه إليه السادة آل الكاف في اليوم الثالث من وصوله المكلاّ وجوابه عنه :-

الحمد لله .. يوم الأحد في ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ أيد الله حضرة السلطان المعان عمر بن عوض القعيطي أدام الله مجده ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ونسأل الله لكم دوام السعادة والهناء. والأمل من عظمتكم أن تتكرموا بتعيين وقت خاص لنقابلكم فيه. والمولى سبحانه يؤيدكم بعنايته والسلام.

((عبدالرحمن وأبوبكر إبني شيخ الكاف))

جوابه

الحمد لله وحده

بعد السلام .. جناب المحترمين السادة عبدالرحمن بن شيخ وأبي بكر بن شيخ بن آل الكاف كتابكم وصل. إذا وصلتم لدينا بعد مغيب شمس هذا اليوم الساعة السادسة فنحن نقابلكم مع السرور. هذا والسلام.

((عمر بن عوض القعيطي ٢٢ ج ١ سنة ١٣٥٠هـ))

وبعد هذه المواجهة الخاصة ورد من عظمة السلطان الكتاب الآتي :-

الحمد لله.... إلى حضرة جناب المكرمين السادة الكرام عبدالرحمن وأبي بكر ابني شيخ بن عبدالرحمن الكاف المحترمين.

بعد مزيد السلام والتحية نعلم جنابكم بناء على مخابرتنا شفاها عن شأن صلاح الجهة الحضرمية فأنا مع السرور أقبل الصلاح العمومي. والله قد جاء بكم إلى هنا وإن شاء الله بمساعيكم يتم كل مقصود. والآن نحن حديثا وصلنا هنا ويلزم أولا أن نتفاقد داخلية البلاد. وكذا أنتم قريبو عهد بالوصول وتعباتين كما ذكرتم من المكث خصوصا من جهة أولادكم المباركين. لهذا رأينا أن نجعل المفاوضة في الإصلاح العام بعد شوال تصلون أنتم ومن شئتم معكم من الذين هم يحبون ذلك الإصلاح وبحول الله يحصل كل مقصود. وهذا بخصوص ما ذكر والسلام.

محرر ٢٤ جماد أول سنة ١٣٥٠. ((عمر بن عوض القعيطي))

جوابه

الحمد لله.... في يوم ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠

حضرة السلطان المعان عمر بن عوض القعيطي أطال الله بقاءه وبعد تقديم ما يليق بمقامكم السامي من التحية والسلام :-

نرفع إليكم أننا تناولنا كتابكم الكريم وفهمناه. والحالة الحاضرة لا تحتمل التأخير. وعزمكم على الإقامة هنا نحو شهرين كما بلغنا هي مدة كافية للمفاوضة في الإصلاح العمومي. والأمة على غاية من الضيق والضغط من الفوضى واختلال الأحوال. وما ذكرتموه من تعبنا من الجلوس هنا يمكننا الصبر عليه في مقابل حصول المأمول. وأهل حضرموت قريبوا التناول يمكن طلب من نريد منهم في أقرب وقت والله يتولاكم والسلام.

حرّر أعلى ((عبدالرحمن وأبي بكر ابني شيخ بن عبدالرحمن الكاف))

جوابه

الحمد لله وحده... في المكلاّ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ

حضرات الأجلاء الكرام السادة الفضلاء عبدالرحمن وأبوبكر أبناء شيخ الكاف المحترمين. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الموجب كتابكم وصل وما شرحتموه صار لدينا معلوما وعن شأن أمر الإصلاح الحضرمي العمومي هو كما قد شرحنا لجنابكم إذ لم نتمكن في الوقت الحاضر أن نقيم هنا طويلا. وأنتم قد وصلتم من أماكن بعيدة ورائدكم الإصلاح ومجتهدين فيه غاية. فرحنا منكم جزيل الفرح وسيتم الإصلاح الخصوصي فيما بيننا. وأما الإصلاح العمومي الحضرمي فسيكون له مؤتمر خاص وسيحضرون إليه من كل الناس من الخارج والداخل وهناك يظهر كل رأيه من الأمور التي يتعلق بها الإصلاح العائد بالمنفعة للخاص والعام. ويكون العمل عليه. ويلزم حضور بعض من الأجانب المؤتمر على حسب طلب سلاطين آل كثير... وهذا وبلسن السادة آل المحضار كفاية والسلام ((عمر بن عوض القعيطي))

وهذا آخر كتاب كتبه السادة من الشحر للسلطان وقد توجّه بغتة إلى الغيل لنبأ فاجأه -:

الحمد لله من بندر الشحر في ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠

أيد الله حضرة السلطان المكرم عمر بن عوض القعيطي أدام الله عزه - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والأمل دوام العافية وكمالها لكم ولمن لاذ بكم.

وقد بلغنا أمس توجّهكم فتأسفنا كثيرا حيث لم نتمكن من مقابلتكم والوداع منكم. ولا زلنا نشكر لكم لطفكم وحسن معاملتكم لنا ونذكر تلك المجالس الأنيسة التي تشرفنا بجلوسها مع عظمتكم.

أمّا مسألة الطريق وإصلاحها فالأمل تتميمها بكل سرعة لأنها من أقوى العوامل لعمران البلاد وتقدمها. وكذلك على تتميمها تتوقف هيبة الدولة وناموسها. لأنه كما هو معلومكم أن جراءة قبائل البادية وعدم مبالاتهم بعهود الدولة يسبب ضررا كثيرا لها ويسقط هيبتها من النفوس وعظمتكم أعلم بكل ذلك.

وأيضا نؤمل من حضرتكم النظر في إلغاء الربية التي جعلت على السدة. والعفو إن كنا تجرأنا على هذا الطلب إذ لا زلنا نؤمل منكم القبول. ودمتم في خير والسلام.

((عبدالرحمن وأبوبكر ابني شيخ بن عبدالرحمن الكاف))

جوابه

الحمد لله في بندر المكلاّ في ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠ إلى حضرة جناب السيدين الفاضلين عبدالرحمن وأبي بكر ابني شيخ الكاف أدام الله بقاءهما.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. السؤال عنكم وأرجوكم بعافية وصحة كاملة وثانيا حظينا بورود كتابكم رقيم ١١ الجاري. وكامل شرحكم أحاط به علمنا. وقبل توجّهنا من الشحر أخبرنا الولد أبابكر بن حسين المحضار أن يخبركم بعزمنا إلى المكلاّ وعند خروجنا من الشحر وددنا أن نواجهكم إنما لم يساعدنا الوقت.

وبخصوص الطريق وإصلاحها إننا إن شاء الله سنباشر السعي في إصلاحها وستحصل نتيجة حسنة.

أما إلغاء ربية السدة بالشحر ذلك مما لا يوافق مصلحتنا في الوقت الحاضر نظراً لافتقار إيرادات حكومتنا ومصاريفها وإلا نحب أن نرضي خواطركم إنما الآن العفو منكم. والسلام

((عمر بن عوض القعيطي)).

هذا هو عمر بن عوض القعيطي سلطان الشحر والمكلاّ ودوعن وحضرموت يعلم الناس في كتبه كيف تكون مكارم الأخلاق وكيف يكون الأدب الغض؟ هذا هو نجل عوض بن عمر مدوخ حضرموت ودكتاتورها الوحيد في عصره تفيض كتبه رقة ولطافة وتسيل شفقة وحنانا،

وعشية الأثنين أقامت مدرسة الحق السلفية التي يديرها صديقنا السيد هارون بن محمد العطاس حفلة شائقة للسيد عبدالرحمن بن شيخ أنشدت فيها الأناشيد وألقيت فيها الخطب وحضرها جماعة من الذوات البارزة منهم حضرة المنصب السيد اللوذعي الحسن بن سالم العطاس الذي تفضل فناه في الحفلة بخطبة رنانة شنفت أسماع الحاضرين وملأت الصدور حكمة وعبرة. ثم اقترح علينا مدير المدرسة أن نسأل التلامذة عن بعض ما تلقوه من دروس ففعلنا وقد أجادوا ما شاء الله أن يجيدوا.

وعشيّة الثلاثاء أقيمت أمام السرايا السلطانية حفلة عسكرية رياضية دعينا إليها مع كافة الرفاق فمدّت الكراسي وكان التنظيم كاملا. وقد حضر عظمة السلطان ووزراؤه الفخام وأعيان السادة والرؤساء والعسكر والجنود النظامية. وأخذ الضابط محمد يوسف يمرن الجند في تلك الباحة المتسعة تتقدمهم زمرة الموسيقى وكان المتفرجون كثيرين لا يحصون من جميع الطبقات. وابتدأت الحفلة الساعة التاسعة والنصف بعد العصر وانتهت المغرب وكلها ألعاب رياضية ومباراة بين اللاعبين وقد أعجبنا كثيرا بطائفة العبيد وألعابهم إذ عليها يدور محور الحفلة.

ويختتم كتابه بهذه العبارة الذهبية (وألاّ نحب أن نرضي خواطركم إنما الآن العفو منكم). ولقد شهدنا مجالسه وسمعنا أحاديثه فلم نجدها بأقل أدباً ولطفاً ممّا هي في كتبه.



(٢٣) شاطيء البحر في الشحر عند الخور

وليلة الأربعاء بعد المغرب أقام سمو السلطان لرفاقنا مأدبة فاخرة حضرناها كلنا وحضرها السيد حامد البار والسادة الفخام آل المحضار والجمعدار سالم بن أحمد أمير الشحر والسائحان الألمانيان. وكان سمو السلطان يقابل المدعوين ببشاشة وسرور. وبعد تناول الطعام عرضت علينا الصور المتحركة وانصرفنا مسرورين.

ويوم الأربعاء صباحا ذهبنا وحضرة الدكتور محمد عمر موفدين من قبل السيدين عبدالرحمن وأبي بكر ابني شيخ الكاف إلى حضرة السلطان. ومعنا له منهما كتابا يشتمل على طلب انجاز شبه الوعد الذي فاه به في إلغاء رسم سدة الشحر الحديث.

وكلفانا إقناعه أيضاً شفهياً. ولما مثلنا في حضرته حاولنا إقناعه وحمله على إلغاء الرسم بكل ما لدينا من بلاغة وقوة عارضة. ولكنه رفض واعتذر بكثرة المصاريف على البلاد. ثم أخذ يقص علينا ما شاهده في أوروبا من نتائج الأزمة الحالية وما زادته الحكومات هناك من المكوس. ثم استطرد إلى علاقة بلاده بداخلية حضرموت وأخذ سموه يشير إلى معاهدة عدن وعدم نتيجتها. وأخيراً انصرفنا من حضرته شاكرين حسن مقابلته ولطافة إقناعاته.

ومعاهدة عدن هذه التي يشير إليها سموه هي معاهدة أبرمت في ٢٧ شعبان من سنة ١٣٣٦هـ أيام سلفه السلطان غالب بن عوض إذ اتفقت دولتا القعيطي وابن له بعدن على التوقيع على معاهدة جاءت كلها آية في التغرير والإيهام وغريبة جدا في منافاتها للارتكاز على ما يسمونه مصلحة الطرفين فلا غرو إذا هي لم تثمر إلا من نوع بذرها [1].

---

[1] لننقل هنا معاهدة عدن بحروفها إتماما لفائدة القراء وليعلموا كيف تخدع الرجال. وقد يتصل بعض الموقعين عليها من المسئولية بأنها وقعت في ظروف غير اعتيادية. وأنهم إنما جُبروا على التوقيع عليها إجبارا. ونحن لا نحكم الآن بالتصديق ولا بغيره بل نترك الحكم في ذلك للتاريخ الذي لا يغفل عن إبراز الحقائق مهما دفنتها الآباد وطال الأمد عليها. وهذا هو نص المعاهدة :-

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد قال الله تعالى في كتابه العزيز : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. وقال الله تعالى: الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور. وها نحن ولله الحمد مؤمنون ومتبعون لهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومعتقدون بأن في إجماع الكلمة ما يعود نفعه للمسلمين وصلاح العباد والبلاد. وراغبين فيما يوجب الأمن والراحة للأهالي ورفاهيتهم في داخل البلاد وخارجها.

فلهذا الدول الكرام القعيطية وآل عبدالله عقدوا بينهما معاهدة مؤبدة إلى أن يشيب الغراب ويفنى التراب وهما السلطان السير غالب بن عوض بن عمر وعمر بن عوض بن عمر القعيطي عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة. والسلاطين منصور بن غالب ومحسن بن غالب آل عبدالله عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة. وجعلوا الشروط الآتية:-

الشرط الأول: يرتضي السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلاّ وسلاطين آل عبدالله أهل كثير أن يكون إقليم حضرموت إقليما واحدا وأن الإقليم المذكور هو من تعلقات الدولة البريطانية تابعا لسلطان الشحر والمكلاّ.

الشرط الثاني: يقر السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلاّ أن سلاطين آل عبدالله هم سلاطين الشنافر ولكن آل عبدالله يحكمون في داخل حضرموت على مدن وقرى سيؤن وتريم وتريس والغرف ومريمة والغيل. وصار الاعتراف أن فخذ الشنافر الآتي ذكرهم تابعون لسلاطين آل عبدالله وهم آل عمر وآل عامر والفخايذ آل كثير والعوامر وآل باجري وآل جابر وما شملته حدودهم وهي معروفة مشهورة.

الشرط الثالث: يتعهد السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلاّ عن نفسه وورثائه وخلفائه من الجهة الأولى بأنه يقر ويعترف بالحقوق والسيطرة لسلاطين آل عبدالله وورثائهم وخلفائهم في المدن والقرى المذكورة وعلى فخذ الشنافر المذكورة في الشرط الثاني المذكور أعلاه. وأنه لن يتعرض لهما في أي أمر كان مطلقا وأنهم سلاطين مستقلين في بلادهم المعينة في الشرط الثاني.

الشرط الرابع: يقبل سلاطين آل عبدالله عن أنفسهم وورثائهم وخلفائهم من الجهة الأخرى بأنهم لن يتعرضوا بأي طريقة كانت للحكم على حضرموت ما عدا المدن والقرى المذكورة في الشرط الثاني وكذلك الفخذ المذكورة في الشرط المذكور ويقروا ويعترفوا ويقبلوا بأن ليس لهم حق في التعرض في محلات أخرى.

الشرط الخامس: يرتضوا سلاطين آل عبدالله أن يقبلوا أن المعاهدة المنعقدة بين الدولة البريطانية ودولة القعيطي في سنة ١٨٨٨م رابطة لهم وكأنهم جعلوها

ويرتضون بأن يمتثلوا شروطها بأمانة. ويرتضوا أيضا أن تكون جميع معاملاتهم ومراسلاتهم مع الدولة البريطانية بواسطة السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلاّ.

الشرط السادس : كلا الفريقين يقبلان أن يوقفا الفتن في الحال والاستقبال حالا ويقبلا أن ينسيا ويعفيا عن كل ما سلف وأن لا يصير من أحدهما انتقام أو مطالبة في عوض ويرتضيا أن يحافظا في المستقبل على الأمان في السبل الكائنة في حدودهما المعروفة وإجراء العدالة طبقا للشريعة واحترام السادة العلوية وإسعاف المظلوم وإقامة العدالة العامة في حدودهما المعروفة.

الشرط السابع : يقبل المذكورون أن يساعدوا بعضهم بعضا إذا حصل خلاف من أحد الحزبين على رعاياهم وأصحابهم ومن تعلق بهم أو على شريف أو عابر سبيل أو قاصر يد ويقبلوا أن يحافظوا على أرواح وأموال بعضهم بعضا وأتباعهم ورعاياهم ومن يلوذ بهم ما داموا في حدودهم المعروفة وأن يعاملوهم بالعدل والإنصاف كمعاملتهم لغيرهم من أصحابهم.

الشرط الثامن : يرتضوا المذكورون بأن تكون الحرية المطلقة للتجارة وأن تؤخذ العشورات بالمقدار المرتب على جميع الناس سواء كانوا رعايا أيا كان من السلطانين المذكورين.

الشرط التاسع : إذا رغب أحد السلاطين المذكورين أعلاه أن يزور الآخر ينبغي أن يخبر بمراده حتى يكون الاستعداد لمقابلته بالاحترام الواجب ويحتاج أن لا يزيد في أي حالة كانت مقدار العسكر عن خمسين نفراً إتّقاء لحدوث الفتنة بين العسكر.

الشرط العاشر : سلاطين القعيطي وسلاطين آل كثير يقبلون بالسوية أن يعاونوا بعضهم بعضا بحسب مقدرتهم واستطاعتهم في أي تدبير فيه صلاح حال حضرموت ورقيّها.

الشرط الحادي عشر : فمقابلة لقبول الشروط المذكورة أعلاه من لدن سلطان الشحر والمكلاّ وسلاطين آل عبدالله آل كثير سوف تجتهد الدولة البريطانية أن تصلح

ثم كثرت بعد ذلك المفاوضات والمكاتبات بين السيدين عبدالرحمن وأبي بكر وبين عظمة السلطان بخصوص الإصلاح وإبراز بضع نقط معينة. منها رسم السدة الحديث. ومسألة إتمام الطريق للسيارات والقيام على المعرقلين به. ومنها إقامة مؤتمر إصلاحي وطني تنفذ حكومتا القعيطي وآل عبدالله قراراته.

وعشية السبت ٢٨ جمادي الأولى عملت مدرسة الفلاح حفلة بديعة للسيد عبدالرحمن الكاف أبدى التلامذة فيها الدلائل الناطقة بنجاحهم وتهذيبهم.

وعشية الاثنين سلخ جمادي الثانية أقامت المدرسة السلطانية التي يديرها صديقنا محمد صبحي حفلة للسلطان وللسيد عبدالرحمن ولكن الأول لم يحضر ودعينا للحضور فحضرنا. ثم قدمت في الحفلة قصيدة بخصوص كاتب هذه

جميع المخاصمات الناشئة في المستقبل بين المذكورين بعد تاريخ هذه المعاهدة بالتحكيم بواسطة والي عدن.

حرّر في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦هـ. صحيح ((غالب بن عوض القعيطي))

شهد بذلك ((حسين بن حامد المحضار))

شهد على إقرار المذكور ((سالم بن جعفر بن طالب))

شهد على إقرار المذكور ((ناصر بن عمر بن يماني بن مرعي بن طالب))

وهذه إمضاءات نسخة أخرى من هذه المعاهدة :

صحيح ((المنصور بن غالب بن عبدالله الكثيري))

صحيح ((محسن بن غالب بن محمد أحمد بن عبدالله))

صحيح ((غالب بن عوض بن عمر))

شهد بذلك :

(حسين بن حامد المحضار) (سالم بن جعفر بن طالب) (ناصر بن عمر بن طالب)

السطور انشدها أحد التلامذة فأبديت لهم شكري نثرا. ثم أرسلنا لهم في اليوم التالي قصيدة صدرنا مقدمتها بقول المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

والمكلاّ ميناء تجاري يظهر جميلاً من البحر وشائقاً. إلاّ أنّك إذا دخلت البلد وجدتها ضيّقة وشوارعها قذرة. ولها شارع واحد عمومي يمتد من طرفها الشرقي إلى طرفها الغربي. وهي أشهر موانى حضرموت واقعة على ضفّة البحر العربي. يبلغ سكانها نحو العشرين ألفا. وهي الآن عاصمة الدولة القعيطية. وبها سراية السلطان عمر الجديدة بناها لنفسه. وفي المكلاّ قصر السلطنة القديم الذي ابتنته الدولة الكسادية ولا يزال حافظا رونقه يسكنه بعض حرم العائلة المالكة. وفيها الباغ وهو الحديقة التي تكتنف قصر الدولة الرسمي الذي ينزله من جاء من السلاطين من الهند. وترداد البواخر إلى المكلاّ القادمة من عدن والهند وإفريقيا وأوروبا وجاوا أكثر من ترددها إلى الشحر. وعليه فوارداتها وصادراتها أكثر من أختها وحركتها التجارية أقوى. ويبلغ ما يصدر عنها يومي من القوافل على وجه التقريب مائة وخمسون جملا بينما الشحر لا يصدر عنها إلا ثلثي هذا القدر.

وليس في المكلاّ إدارة بريد ولا مكتب تلغراف ولا مكتبة عامة ولا خاصة. وبها مستشفى للحكومة أتينا على ذكره آنفا.

أما عدد المدارس بها فخمس. جميعها ابتدائية [1] وكل منها يحصل على مساعدة مالية قليلة من الحكومة القعيطية إلا أنه بلغنا بعد رحيلنا من المكلاّ أن السلطان أمر بقطع المساعدة عن مدرسة الفلاح وأنه مزمع على قطعها عن الباقيات ما عدا المدرسة السلطانية التي تنسب إليه. ونحن نسطر هذا مع اعتقادنا ببعد ما يقال.

وممّا يؤسف له أن مدرسة الفلاح وهي المدرسة الوحيدة النظامية، والمدرسة الأولى من نوعها. والداعية إلى الوطنية والحماس القومي وتكريم العرش. وهي المدرسة التي تبث الآداب وتهتم بالأخلاق وتعتني بالرياضة البدنية، والتي قد تبلجت تباشيرها وأينعت ثمارها وأخرجت للبلاد تلامذة عمالا لمستقبلهم بشرف وأمانة - هذه المدرسة التي هذا شأنها هي التي فوجئت قبل غيرها بقطع المساعدة من السلطان. وما ذلك إلا من سوء حظ البلاد وتعاسة جدها العاثر.

والذي يظهر أن المدارس بالمكلاّ ستفيد البلاد فائدة كبرى إذا هي استمرت في عملها ولم يتسرب إليها عامل من عوامل التفريق التي تفتك بالجسم الحضرمي في المهجر.

وليلة الأثنين فاتحة جمادي الآخرة دعا سمو السلطان رفاقنا للمأدبة الثانية بسرايته السلطانية فكانت كالأولى بهجة ورونقا.

---

(١) حضرموت كلها ليس للمعارف بها سوق ولا رواج. وإن وجدت بها كتاتيب للأطفال فإنما هي أمكنة حقيرة وظيفتها إخراج من يؤمها من عمق الأمية إلى طرفيها. وفي أمهات المدائن كتريم وسيؤن وغيرهما معاهد مبعثرة مقتصرة على تدريس الفقه والنحو وسرد شيء من التفسير والحديث وكلام الأسلاف.

وفي صبيحتها توجه أكثر الرفاق إلى الشحر على الرفّاص وبقى منهم السادة عبدالرحمن وإخوته ابو بكر والحسن وعمر وجماعة آخرون منهم صاحب الرحلة والشيخ محمد بن ذئاب الكاتب الأول للسيد أبي بكر.

وفي اليوم التالي. ذهبنا نحن الباقين كلنا عند الظهيرة إلى الشحر على متون السيارات ما عدا السيد شيخ بن عبدالرحمن الكاف والسيد حسن بن أبي بكر العطاس وصاحب هذه الرحلة والشيخ بن ذئاب فقد رجحنا السفر بحرا على الرفّاص وقد وصلنا ميناء الشحر قبيل المغرب. وكان لنزولنا إلى القارب ومنه إلى الشاطئ ضجة عظيمة كما هي العادة في ميناء الشحر. والمسافة من مرسى الرفّاص إلى الشاطئ نحو ثلث ميل.

وعشية الأربعاء جاء أعيان الشحر إلى الباغ للترحيب بالسيد عبدالرحمن في الباغ وبعد انصراف جلهم انشدت قصيدة عصماء قالها السيد النبيل حامد بن محمد السري مرحبا بالسيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف [1].

---

(١) مطلعها - :

اليوم رايات البشائر تخفق ... وعبير أنفاس التهاني يعبق

إلى أن قال :

أعلمت (هكتر) من تقلُّ من الورى؟ ... تمشي به مرحاً لزهوك رونق

كالطود تمخر في العباب تشقه ... عنقاً تسير به وطوراً ترفق

هون ولا عجب فأنت أجير من ... بنداه جيدك مثقل ومطوق

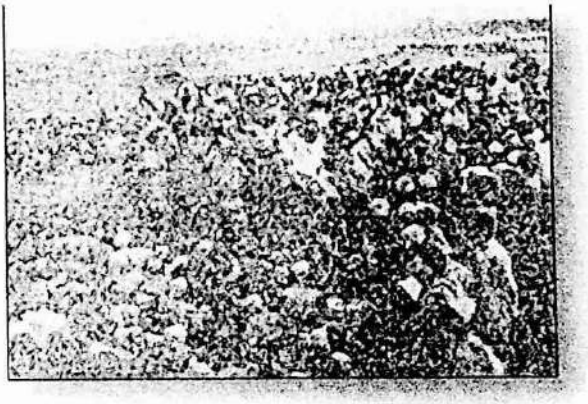
ومنها :

أسمعت أن البحر يحمل مثله ... كرماً وطوداً راسخاً لا يفرق

يمشي الهوينا موجه متصاغراً ... فكأنه لنواله يتملق

وعشية الجمعة عمل أهل عقل باعوين شبوانيا تجاه القصر. وبعد العشاء أقبلوا بمشاعيلهم وطبولهم وزفوا في باحة القصر ثم عملوا شبوانياً مبهجاً. وقد وزّع السيد عبدالرحمن عليهم كسوة لشعرائهم وحدّاتهم وحاملي المشاعيل وقدم لعمومهم رقعة حوالة في مبلغ من النقود. فأخذوا يرتجزون ويزفون بتلك الرقعة ويرقصون حولها جذلا وإظهاراً للشكر والامتنان.

وتلك الليلة نفسها بعد المغرب جاء جماعة من شحاذي بغداد ومعهم ساؤهم يغنون ويعزفون على كمنجة ذات وتر واحد إلاّ أن لها صوتاً شجياً جداً. ورقص بعض صغارهم رقصاً بغدادياً. وغنوا أغنية مختلفة كلها مطرب وشيّق ثم انصرفوا بغنيمتهم جذلين.



(٢٤) أثناء لعب الشبواني

ومنها :

أعلنت في الآفاق يوم قدومه فغدت رموزك للخواطر تسبق

إلى آخر ما قال وكلها غرر ناصعة.

وعند ظهر الجمعة ذهب هذا العاجز بمعية السادة الفضلاء عبدالإله بن محمد الكاف وزين بن الحسن بلفقيه لصلاة الجمعة بجامع الشحر وطال انتظار الخطيب جدا حتى خفنا ذهوله عن الجمعة إلا أن جودة إلقائه الخطبة تشفع له في بطئه.

وعند خروجنا من المسجد وجدنا جماهير من الرعاع متجمعين حول سيارتنا فما كدنا نصل إليها إلا بعد أن كابدنا أكبر مشقة في شق الجموع.

وولع الرعاع في الشحر و المكلاّ بالتجمهر حول السيارات والتحرش بها أكثر منه في أي بلدة أخرى من بلدان القطر. وفي عشية الجمعة قدم سمو السلطان من المكلاّ وبمعيته وزراؤه والسيد حامد البار.

كان رفاقنا قرروا أن ينقسموا فيتحول بعضهم إلى دار الشيخ عبدالرزاق باذيب.

ويبقى البعض الآخر في قصر الباغ. وقد نفذ هذا القرار فعلا. فخفّ بهذا الزحام والضوضاء.

ويوم الأحد ٦ جمادي الآخرة سرنا وحضرة الدكتور صديقنا لإقناع السائحين الألمانيين بأن لا يجازفوا بأنفسهم في السياحة بحضرموت لجهلهم اللغة العربية بل والإنكليزية إلا نزر يسير جداً. ولعدم وجود ترجمان معهم ولقلّة النقود التي بأيديهم ولكنا رجعنا كما ذهبنا لأن الرجلين صمما على السياحة بحضرموت مهما كلّفهم الأمر.

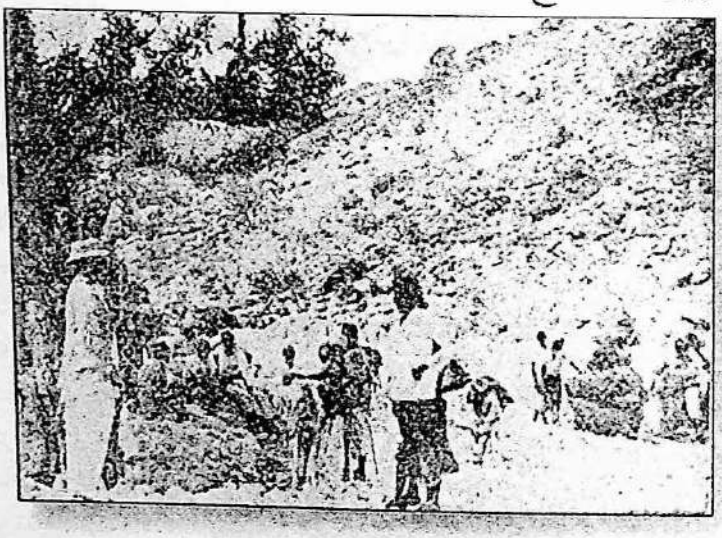
إنّ رغبة الأجانب في السياحة بحضرموت أمر بدأت الرّغبة فيه تتجلى في السنوات الأخيرة. ولا ريب أنّهم بذلك يتبارون بين قومهم في اقتحام الأخطار ومكابدة المشاق والمغامرة بأرواحهم في بلاد بعيد عن المدينة لا قناصل لهم فيها تخاطب عنهم ولا قوانين دولية تحميهم ، فهم علاوة على الاكتشاف الجغرافي تجدهم فخورين بهذه المجازفة التي يباهون بها الداخلين إلى مجاهل إفريقيا ومثاوي متوحشيها.

وهذا أمر له ما بعده إذ من البديهي أن الأوروبي لا تطأ قدمه أرضاً إلاّ وكان ،لاستعمار أو التبشير أو هما معاً نتيجة لذلك إذا لم يأخذ أهلوها الحيطة لهاتين الكارثتين. والاستعمار والتبشير إنما يتغلبان على الأمم الجاهلة بشؤون الحياة والمتأخرة في المعارف والفنون العصرية لأن الأسلحة الجادة الحالية سواءً كانت علمية أو عملية لا تقاومها الأسلحة العتيقة التي كانت تستعمل في القرون الوسطى.

وإننا لنرى أن حضرموت لأضعف عنصرا وأقل قدرا من أن ترفع بصرها لمقاومة هذين التيارين الذين اكتسحا بلاداً وأمماً كانت أكثر من حضرموت عمرانا وأقوى شكيمة وأرقى معرفة.

إن حضرموت لا تخرج عن سنن الكون الطبيعية في شيء. فإذا هي لم تبدأ من الآن في إعداد العدة واتخاذ الحيطة بنشر المعارف بين طبقات الشعب. وإيجاد قومية شريفة في نفوس النشء. وإبدال هذه التربية والأخلاق بغيرها مما هو أصلح لمكافحة المستقبل الغشوم وأجدر باقتناص النجاح في المعترك الحيوي -

إذا هي لم تقم بهذا الواجب العظيم ليوشكن أن تذهب يوما ما ضحية إحدى هاتين البليتين ــ لا سمح الله.



(٢٥) منظر آخر لسفح عقبة العرشة

وفي صبيحة الأحد المذكور أقامت مدرسة مكارم الأخلاق بالشحر حفلة للسلطان حضرها سموه ووزراؤه وحضر السيدان عبدالرحمن بن شيخ الكاف وحامد بن علوي البار وجماعة كثيرون من أعيان الشحر. وهذه هي المدرسة الوحيدة في الشحر وهي تتناول مساعدة مالية من الحكومة. والحفلة عبارة عن خطب قام بها التلامذة ومحاورات مدرسية. وقد قرأ بعضهم شيئاً من القرآن بصوت رخيم وتجويد متقن وقمت أنا في الآخر فشكرت السلطان على حضوره وتنشيطه للعلم والمعارف ثم أثنيت على الأساتذة وجهودهم وحسن نتيجتها.

وقدم السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف ما تكرم به من جيبه للمدرسة وانصرف الجميع شاكرين له أريحيته.

وعشية الأحد دعينا إلى حضور شبواني لدى أهالي عقل باغريب وهي الحافة التي تناوئ حافة[1] عقل باعوين التي نحن في حدودها.

---

[1] الحافة في عرفهم هي نقابة للعامة في كل حارة من الحارات تحتكر لنفسها حق القيام بإدارة الولائم والأفراح والجنائز وما يتعلق بها. وسائر الاحتفالات العامة بتلك الحارة. وإنجاد ذوي الغرق والحرق والهدم وغير ذلك. ولو أنها وقفت عند هذا الحد لكان حسنا ولكنها قد تتحكم بأهوائها الجافة في رقاب الذوات والأعيان بما توحيه إليها عقليتها المنحرفة. ثم تعاقب من لم ينزل على حكمها بمقاطعته في وقت الحاجة إليها مقاطعة تضر بعرضه وماله ضرراً بليغاً يستوجب به نهاية الشفقة والرحمة. وهيهات لا مشفق ولا راحم. والويل له إن طلب الاستعانة برجال حافة أخرى فتنزل حينئذ على أم رأسه النقمة الكبرى. بل إن رجال الحافة الأخرى لا يرتضون أبدا أن يساعدوا هذا المغضوب عليه مهما بذل لهم خوفا من نشوب معارك دموية يصعب توقيفها ناتجة عن تعدي الحقوق !!.

وهنا ينبغي لفت النظر إلى هذه الحيف سواء كانت بالبنادر أو بالداخلية والأضرار العظيمة التي تصدر عن عصبيتها واعتصابها ضد من لم يشأ أن يخضع لإرادتها وحكمها القراقوشي هذا فضلا عن ما تلاقيه البلاد من جراء تطاحنها وتناطحها الوحشي مما تمجه الطباع السليمة وتنكره الإنسانية والمدنية.

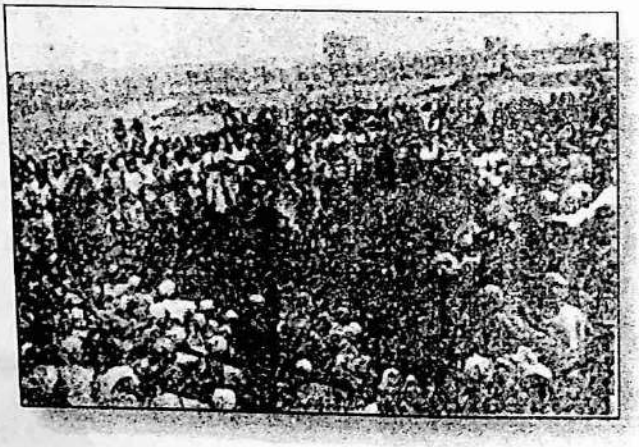
فهل من رادع لهؤلاء الرعاع عن غيّهم؟ وهل من موقف لهم عند حدّهم؟ هل من يستطيع بهمته وجده أن يخلص البلاد وسكانها من هذا النير الباهض والعربدة الشريرة والبغي الهمجي الذي لا يطيق الصبر عليه حر؟

يا بني الهمم القعساء والشرف التليد والطارف هلموا فحرروا حياتكم من هذه الوصمة التي تسمون بها بميسم الخسف والذل لقوم سفاه يتحكمون في الكرام تحكم المالك في رقّه.

من يرني مبالغاً فليتفضّل وليجرب مرةً واحدةً وليرفض رسماً من رسوم هذا الحاكم الجبّار الذي يسمّونه حافّة وليرَ حينئذ ما يكون. رسماً واحداً يرى ما لا يتحمّله من تجريعه كأساً علقميّةً لا تسيغها النّفوس الحرّة.

وفي يوم الأربعاء صباحا توجه السلطان هو ووزراؤه إلى الغيل ومنها إلى المكلا.

وفي ليلة الخميس سهرنا بمنزل الشيخ صالح بكار باشراحيل لحضور مباراة شاعرين من شعراء عقل باغريب. وكان من عادة السامعين هناك أن يأخذوا بالفال من الشعر ويؤول كل منهم ما يسمعه إلى الفكرة الجائلة بخاطره. فكنا نحن وبعض الحاضرين نؤول القول على قضية عرقلة طريق السيارات وموقف السادة والسلطان تجاه ذلك. فكان ما سمعناه مناسبا لذلك.



(٢٦) صورة أخرى من صور لعب الشبواني

ويوم الخميس توفى السيد الجليل عبدالله بن علي بن شيخ العيدروس صاحب الشحر وكان من المشهورين بالصلاح في تلك البلاد فحضر جنازته الجم الغفير من الناس.

وصلى عليه بعد العصر بمسجد العيدروس. وأغرب ما رأيناه وأنكرناه هو أن ثلث المشيعين للجنازة هن من النساء يمشين محيطات بالرجال. وقد أنكرنا ذلك عند بعضهم فقال بهذا جرت العادة هنا.

وليلة الجمعة ١٠ جمادي الآخرة ورد إلى الباغ سائح من دمشق يسمى الشيخ محمد المديني نزح عنها هو وعائلته كما يقول وقت الثورة الأخيرة إلى الحجاز وقد عادت عائلته إلى دمشق. أما هو فاختار الترحّل وكان الرجل حافظا للقرآن الحكيم يقرأه بصوت جميل ونغمة حسنة مؤثرة. ويحفظ عدد غير قليل من النشيد والموّاليات. ويظهر أن لديه إلمام يسير بالأدب وله شعر لا بأس به. وقد أراده السيد أبوبكر بن شيخ على الخروج فلم يرضى واعتذر بعائلته وأنه يحب الإسراع بالعودة إليها.

ويوم الجمعة ورد كتاب من السلطان من الغيل للسيدين عبدالرحمن وأبي بكر يذكر فيه نعي كريمته الصغرى بالهند رحمها الله ويذكر في الآخر اهتمامه بمسألة طريق السيارات وقمع المعرقلين. وقد أجابه السيدان تعزية وشكرا.

وقد بلغ الضجر من الإقامة في الشحر بنا كلنا أقصاه فما تلقى إلا شاكياً ومتذمّراً والبعوض والحر جاء اضغثاً على إبالة. واجتماعهما يشيد سدا منيعاً دون النوم.

وعشية الجمعة توجه بعض الرفاق إلى حضرموت وهم السادة عبدالقادر بن محمد بلفقيه وزين بن حسن بلفقيه وعبدالرحمن بن شيخ السقاف وعبدالرحمن بن شيخ الحبشي وعلوي بن هود الجفري.

وفي يومها صباحاً زار السيد حامد البار ومعه جماعة من الرفاق مقبرة الشحر ومشاهير رجالها.



(٢٧) بعض الرفاق يأخذون راحتهم

وبناء على ما نال صديقنا السيد حسن علي فدعق من التوعك فقد استحسن الذهاب إلى تبالة للاستحمام بمائها الحار وفعلا ذهب ومكث هناك ثلاثة أيام ثم عاد.

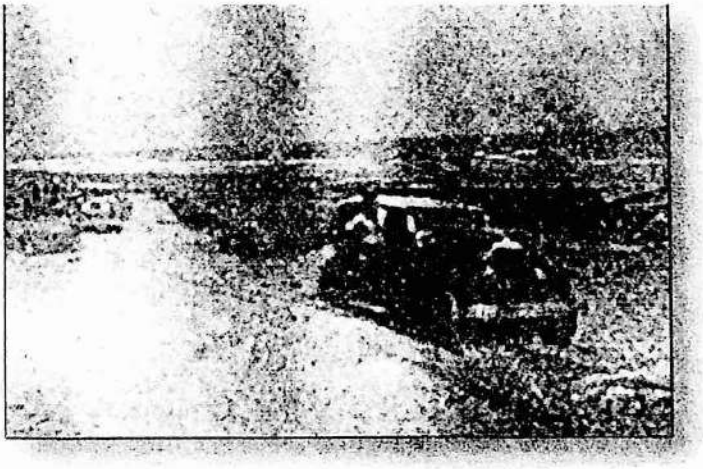
وتبالة موضع يبعد عن الشحر نحو أربعة أميال بها عيون ماء ساخن لو وجد من يعتني به لكان موردا لثروة طائلة لا يستهان بها

وليست هذة هي تبالة التي ولّي عليها الحجاج بن يوسف فلم يرض بها وقال أفٌّ لبلدة تسترها أكمة. وقيل في حقّها أهون من تبالة على الحجاج.

ويوم الأحد كانت المأدبة الشائقة التي أدبها للرفاق الشهم عبيد زعبل وكانت المائدة فاخرة وعليها ما لذ وطاب. وقد حصل في المجلس سرور فائق ومداعبة عذبة وانصرف القوم والسرور ملء أفئدتهم.

ويوم الاثنين وما يليه شرعت الجماعة في التأهب للعودة إلى حضرموت وإعداد المعدات وتعداد الميانات (المحفات) والهوادج والحمر والزاد. وتقرر ميعاد السفر يوم الخميس ١٧ جمادى الآخرة. وعشية الاثنين ١٤ فيه نصبت الخيمة أمام القصر إيذانا بقرب السفر وأحضرت المحفات والهوادج.

وليلة الخميس قدم حضرة السيد الجليل أبو بكر بن حسين المحضار الوزير الأول للدولة من المكلاّ وتناول طعام العشاء بالباغ وبصحبته عصبة منهم الصدر أحمد بن ناصر البطاطي.



(٢٨) منظر طريق البحر على الشاطئ بين الشحر والمكلا

وقد جاء هذا السيد لإنهاء المفاوضة في مسألة الطريق وتعبيدها والعمل حيال البادية المعرقلين للإصلاح وهم من قبيلة المسيلي القاطنة حوالي المعدى.

وعشية الخميس الساعة التاسعة عصرا توجهنا من الشحر وعدد المحفات ثمان والحمر ٢٤ والجمال كمية كبيرة. وجملة أشخاص الركب كله ثلاثمائة نسمة. ووصلنا الشقيقة الساعة الثانية عشر مغربا وبتنا بها وتأخرت الجمال.

ثم بكرنا منها الساعة التاسعة قبل الفجر ووصلنا عرف الساعة الثانية صباحا. والقطار الذي يحمل زادنا وفرشنا لا يزال في غامض علم الله.

ثم رحلنا من عرف الساعة التاسعة عصرا ووصلنا سفح العقبة الساعة الثانية عشر مغربا. وبتنا بها. وبكرنا منها الساعة الأولى ونصف صباحاً ووصلنا نصفها الساعة الثالثة وحططنا بها ولقينا أتعابا عظيمة. وأكثر منا تعباً النساء اللاتي لم يجدن مكانا يستظللن به من وهج الشمس. ولا ريب أن تبكيرنا هذا الوقت غلطة لا تقال. والأحرى أن يكون سحرا حتى نقطع في الظل مرحلة بعيدة.



(٢٩) سفح العقبة

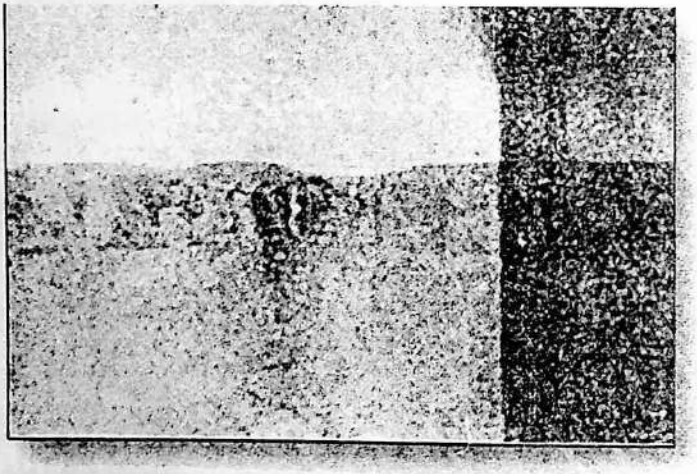
ثم رحلنا من نصف العقبة الساعة الثامنة بعد الظهر وأشعة الشمس ملتهبة تشوي الأدمغة شياً. وسرنا توا إلى المحبلة التي وصلناها المغرب. وبتنا بها في برد شديد وكان العشاء خبزا. ومنها بكرنا الساعة العاشرة صباحا إلى الغلاغيل فوصلناه الساعة الثانية بعد أن وقفنا لصلاة الصبح في اثناء الطريق.

وغادرناها مع أكثر ركاب الحمر الساعة التاسعة عصرا وسرنا حتى وصلنا الخزان (الكريف) بعيد المغرب. أما بعض ركاب الحمير وأصحاب المحفات والأثقال فقد باتوا على نصف المسافة التي قطعناها. وفي هذه المرحلة تقدم عنا الرفاق وتركونا نحن وحسن بيه شيبة لبطء سير حمارينا. وهجم علينا الظلام وكدنا نضل الطريق ونتيه لو لا أن استوقف الرفاق لنا بعض البدو فوقفوا حتى وصلناهم. ولا تسل عن المعركة الكلامية التي التحمت بيننا وبينهم حينما أدركناهم فقد أطلقنا عليهم رصاص التوبيخ وقنابل التعنيف. ومن حسن أخلاقهم أن قابلونا بسلاح الاعتذار ودروع الاحتمال فخرجنا من المعركة ظافرين عاذرين.

وفي صباح الاثنين الساعة الثالثة وصلت الأثقال ورحلنا وإياها من الخزان إلى الريدة التي تبعد عن الخزان بنحو ساعة واحدة وظللنا بها في أذية عظيمة من المعارة الذين يرون في مرورنا تحت ديارهم وأخذ الجوالات المودعة عندهم فرصة عظيمة لإملاء جيوبهم ربما لا تتاح لهم مرة أخرى. لهذا لم يألوا جهدا في انتهازها.

وتخلصنا من القوم والحمد لله وسرنا من الريدة الساعة الأولى وعشر دقائق مغربا على متون السيارات حتى قطعنا نحو ٣٦ ميلا فنزلنا منها وبتنا هناك.

وفي الصباح صلينا الصبح بتيمم وبعد الاصطلاء ركبنا السيارات وانطلقت بنا الساعة الأولى حتى وصلنا حرو حوالي الساعة الثالثة صباحاً ولقينا هنا سيارتين قدمتا من تريم للقائنا فيها السادة الكرام أبو بكر بن الحسين وعبدالله بن عبدالرحمن آل الكاف وجماعة آخرون وقد استصحبوا معهم كمية كافية من الأرز واللحم مطبوخا فملا ذلك منا فراغا عظيما في البطون. واستصحبوا أيضا ثلجا وتمرا فذقنا الأول بكل تلهف بعد أن فطمنا عنه طوال أربعين يوما.



(٣٠) السيارات في حرو

واستأنفنا السير حتى أشرفنا على عقبة المسندة حوالي الساعة السادسة ونصف ظهرا فحططنا نلتهم ما استصحبه الإخوان آنفا من الأرز واللحم. وأطلق بعض رفاقنا الرصاص من قمّة الجبل إعلاماً بوصولنا[1].

ثم هبطنا العقبة مشاة وركبانا. ووصلنا حديقة القرين بعد ظهر الثلاثاء الموافق ٢٢ جمادى الآخرة. وهناك تلقانا الأصدقاء مرحبين مستبشرين والحمد لله أولاً وآخراً.

*****

تمّت

[1] تطلُّ هذه العقبة على مدينة تريم فتبدو جليّاً منابرها ومساجدها وسطوح قصورها الشاهقة وحدائقها البهجة. وتريم هذه هي أشهر مدائن حضرموت وتلقّب بالغَنّاء ومدينة الصدّيق لأنها أسلست قيادها له وساعدته على قتال المرتدين بحضرموت. وهي المدينة الأثرية ذات المساجد الكثيرة والبنايات القديمة. وهي الآن مظهر حضارة حضرموت وعنوان رقيها وسرة واديها.

تقريظ

سيادة رئيس جماعة الدفاع عن السادة العلويين بالقاهرة

العلامة الجليل السيد عبدالله بن محمد بن حامد السقاف العلوي قال حفظه الله.

الأستاذ السيد محمد بن هاشم العلوي في مقدمة الذين أنجبتهم حضرموت ذكاء وأدبا وفضلا وفي طليعة الكتاب الاجتماعيين.

وأياديه البيضاء على النهضة الحضرمية الحديثة ليست بمجحودة وكيف تجحد وصرير أقلامه لم يبرح رنينه إلى اليوم يدوي في الأذان؟

وإذا كان للأستاذ ابن هاشم في الشرق الجاوي أثر في نهوضه الاجتماعي ففي تريم الغناء له منابت ومغارس فاحت أزهارها وأينعت ثمارها.

ومحاضراته الكثيرة في نادي الشبيبة المتحدة بتريم وفي غيره لها مفعولها وأثرها في تنوير الشباب التريمي.

ومن مزاياه انتهاز الفرص ومباغتة الجمهور بمفاجآته وقد لمح في ذهابه إلى الشحر والمكلاّ في معية السادة آل الكاف العلويين الكرام عام ١٣٥٠ هجرية فرصة سنحت للتحدث عن تلك البقاع التي بين الساحل وداخلية حضرموت وتصوير ما أمكن تصويره بعدسة المصور كمنظور مشاهد من الأودية والجبال الحضرمية فكانت هذه الرحلة الطريفة التي ألقيت كمحاضرة في نادي الشبيبة المتحدة بتريم في ١٥ شعبان من ذلك العام وقدمها لزعيم حضرموت الأكبر

وكريمها السيد أبي بكر بن شيخ بن عبدالرحمن الكاف العلوي كاعتراف بفضله عليه.

على أنه قد ضمّ إلى الحديث عن الشؤون العادية والرسوم التصويرية شئوناً اجتماعيةً وأبحاثاً تاريخيةً وسياسيةً حتى الفكاهة لم يدعها تفلت من قلمه أو عدسة الآلة المصورة.

تجده يقصُّ كلّ حادثةٍ حتى نسيان الأرز ومبيته كباقي الرفاق طاوياً لولا إيقاظه ليسدّ فراغ جوعه بلحم بحت كما يقصُّ كثيراً من الملح والطرائف إلى عرض إحدى حفلات الرّقص الحضرمي المعروف بالشبواني مصورة.

وتجده يعرض كثيراً من حوادث الطريق مصوّرة ليعطي الواقع منظره فتارةً تلحظه ممتطياً حماراً وتارةً تنظره قاعداً على التراب مباشرةً مكشوف الرأس حافي القدمين محتبياً وأمامه إناء فيه ماء يغلي ليشرب شاهياً.

ولا جرم أنه في هذه الصورة بتلك الهيئة يمثل الديمقراطية ويعطي صورة لإحدى جلسات الدّهماء في مجالسهم العامة التي لا تتعدى الأسواق والشوارع وأشباهها.

وهل تستطيع أن تدرك ما يفكر فيه الأستاذ وقد ضغط أسنانه بأنملته شأن المفكر المتعمق.

واني أنبّهك إلى ملحوظة تعبيره أحياناً بأسلوب عادي لا تكلّف فيه فقد رغب في تغذية العامة قبل الخاصّة وتسليم المنوال لينسج عليه كل مضترب ولا شك أن رحلة كهذه تعد فتح باب للرحلات الحضرمية يستحق الأستاذ عليها

الشكر من كافة الحضرميين كما يستحق مضاعفة الثناء الزعيم الوطني الكبير عبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن الكاف العلوي وإخوته الكرام لقيامهم بطبعها على نفقتهم تعميما لبث روح الفكرة في روع العموم.

ونحن لا نمتري في أن ثوابهم سيكون من الله وافراً.

تقريظ

حضرة الأديب الأريب السيد عبدالله بن أحمد بن عمر بن يحيى العلوي صاحب مجلة عكاظ بحضرموت سابقا والسكرتير العام لجامعة الدفاع عن السادة العلويين بالقاهرة الآن قال حفظه الله:-

يا أيها الصداح في وكره ... ومرسل الألحان من حضرموت
حسبك تغريدا ولحنا فقد ... ألهى (إلى الثغرين) عن كل صوت

يا رحلة أبدع فيها اليراع ... وصورت حالة تلك البقاع
تيهي دلالا واخطري كلما ... حُلّ بثغري حضرموت الشراع
لله من سطر آياتها ... وأحكم المبنى وأجلا القناع
لله (آل الكاف) من معشر ... مست أيادي فضلهم كل قاع
في كل أرض خطوة للعلا ... تعرب عن مجد وباع
بنوا قلاعا شامخات الذرى ... من المعالي يا لها من قلاع
يا راديو مصر أذع للورى ... فضل (أبي بكر) ورب اليراع

يا أيها الصداح في وكره ... ومرسل الألحان من حضرموت
حسبك تغريدا ولحنا فقد ... ألهى (إلى الثغرين) عن كل صوت

يا ريشة الرسام تلك الثغور ... أبدعت ما أحكم تلك السطور!
غدا رفائيل بإبهامه ... دونك ما أجمل تلك الزهور!
أجدت للثغرين وصفاً كما ... أجدت في شرح أغاني الحجور
لم تدعى ألغوزة فذة ... إلا كشفت اليوم عنها الستور
فمن رسوم ذكرتني الحمى ... إلى حديث يستفز الشعور
إلى عهود شاخ جثمانها ... إلى صفات البدو شعث الشعور
فليحيى سفر كله مسفر ... ما أجمل الحسناء عند السفور!

يا أيها الصداح في وكره ... ومرسل الألحان من حضرموت
حسبك تغريدا ولحنا فقد ... ألهى (إلى الثغرين) عن كل صوت



طريق الكاف

افتتح يوم السبت ١٣٥٦/٨/١٢هـ الموافق ١٩٣٨/١٠/٢٢م

أسسها عميد الأسرة الكافية السيد أبوبكر بن شيخ الكاف

ALKAFF ROUTE

OPENED IN 30/7/1

FOUNDED BY S. ABUBAKER B. SHEKH ALKAFF

THE CHIEF OF ALKAFF FAMILY.



ترقيم
مكتبة تريم الحديثة
تريم - حضرموت
هاتف: ٤١٧١٢٠ ص.ب: ٥٨٠٢٢
الجمهورية اليمنية